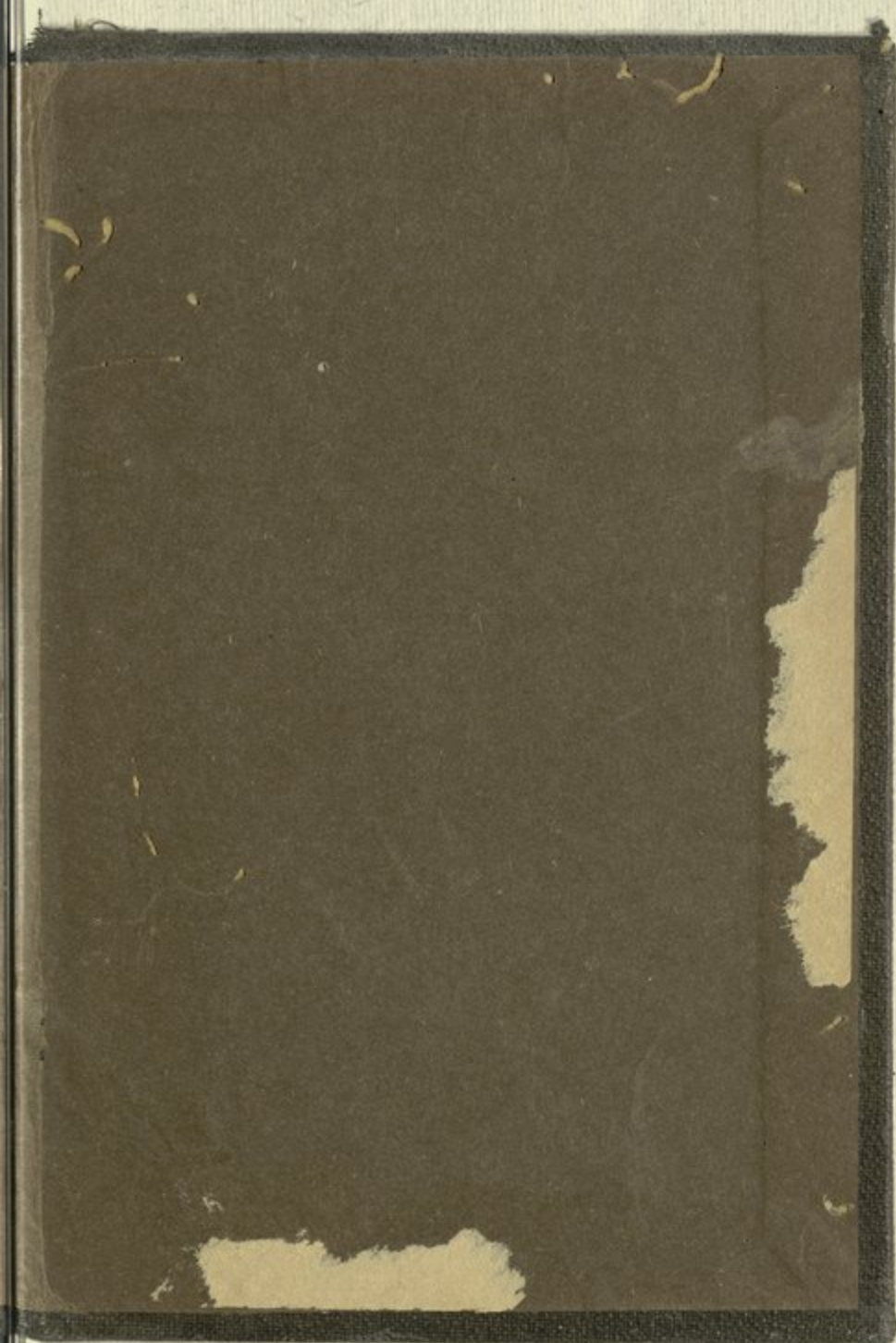


عنوان البيان في علوم التبيان

المعدي

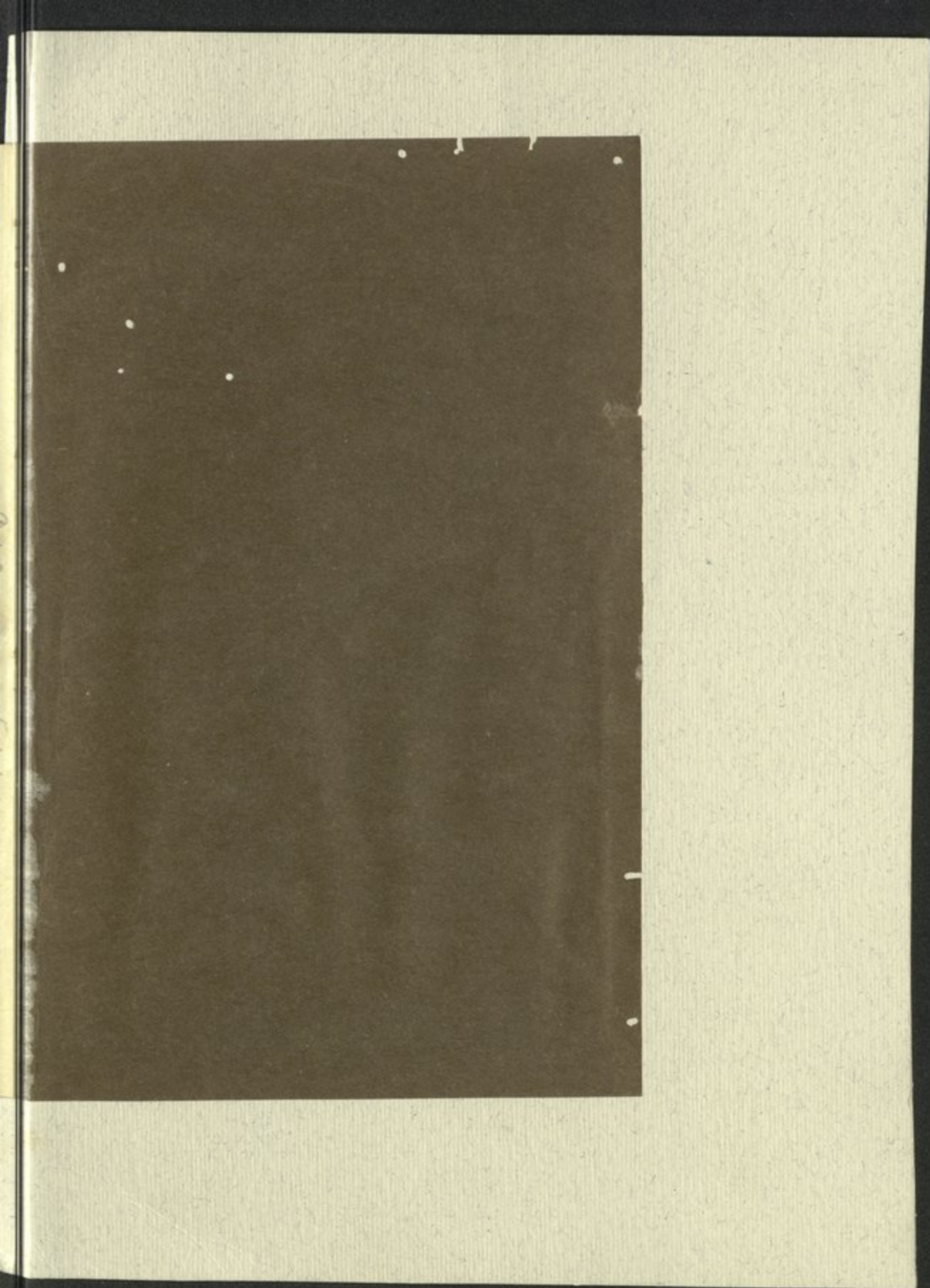


297.2:A221A

العدوي، محمد حسنين مخلوف.

عنوان البيان في علوم التبيان.

297.2
A221A



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الرحمن علم القرآن . خالق الانسان علمه البيان . فله الحمد الوافي على
مزيد نعمه . والشكر الكافي على وفير مننه . والصلاة والسلام على أشرف
خلقه . وصفوة رسله . سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن والاه .
(أما بعد) فهذه رسالة ممتعة . وأبحاث قيمة . تتعلق بالقرآن الكريم
وضعت في شهر رجب سنة ١٣٤٠ هجرية ورتبتها على أربع مقالات وخاتمة
(الاولى) في بيان ما يطلق عليه اسم القرآن الكريم وكلام الله القديم
(الثانية) في حكم تجويد القرآن وأركان تلاوته
(الثالثة) في جمع القرآن وكتابته بالخط النسخي
(الرابعة) في حكم ترجمة القرآن وكتابته وقراءته بغير اللغة العربية
(الخامسة) في الدعوة الى الاسلام وتبليغ أحكامه
وسميتها (عنوان البيان في علوم التبيان)

ولما حدثت في هذه الايام ضجة بين الكتاب في حكم ترجمة القرآن
باللغات الاجنبية اختلفت فيها الآراء وتشعبت الالهواء حررت المقالة
الرابعة والخاتمة من هذه الرسالة وأفردتها بالطبع في شهر شوال سنة ١٣٤٣
ونشرتها بين أهل العلم وغيرهم بالنظر المصري وخارجه . ثم حررت بقية
المقالات في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٣ وأفردتها بالطبع مستعينا بالله تعالى
راجيا منه النفع بها في الآخرة والاولى وهو حسبي ونعم الوكيل

١٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ - ٧ يونيو سنة ١٩٢٥

محمد حسنين مخلوف العدوي

المقالة الاولى

فيما يطلق عليه لفظ القرآن الكريم وكلام الله تعالى

(٢) معنى القرآن في اللغة

اعلم أن لفظ القرآن في الاصل وصف أو مصدر مشتق من القرء بمعنى الجمع كما قال الزجاج والحياتي سمي به كلام الله تعالى قال أبو اسحاق النحوي سمي كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم قرآنا لانه يجمع السور وقال ابن الاثير تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارىء والقرآن والاصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعه فقد قرأته وسمى القرآن قرآنا لانه جمع القصص والامر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها الى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران والاقتراء افتعال من القراءة وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا فيقال قرآن اه وقال قوم منهم الاشعري كما في الاتقان ان القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء اذا ضممت بعضه الى بعض وسمى به لقران السور والآيات والحروف فيه لا وقيل القرآن مشتق من القرائن لان الآيات فيه يصدق بعضها بعضها فهي قرائن . وعلى هذين القولين هو بلا همز ونونه أصلية قال الزجاج هذا غلط والصواب ان ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركتها الى ما قبلها فهو عنده وصف مهموز على فعالن مشتق من القرء بمعنى الجمع لانه جمع السور كما قال أبو عبيدة أو ثمرات الكتب السابقة

كما قال الراغب وعند اللحياني وجماعة هو مصدر كالفقران سمي به المقريه .
تسمية المفعول بالمصدر كما في اللسان وغيره وذكر صاحب الاتقان ان الله
تعالى سمي القرآن بخمسة وخمسين اسما سماه كتابا مبينا الى آخر ما ذكره

✕ (٣) معنى القرآن في اصطلاح أهل الاصول

والاسم العلم منها هو القرآن فهو في الاصل وصف أو مصدر جمل شاملا على
الكلام المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه الشافعي رضى
الله عنه وبحق والاصوليين وحدوه تارة باللفظ المنزل للاعجاز بسورة منه .
وتارة بما نقل بين دفتي المصحف تواترا . وتارة باللفظ المنزل على محمد صلى
الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه والتعبد بتلاوته لتصوير مفهومه لا لبيان
حقيقته لان التعريف لا يكون الا للحقائق الكلية .

وقيدوه بالمصحف لان الصحابة رضوان الله عليهم على ما سيأتى بالغوا
في أن لا يكتب فيه ما ليس منه مما يتعلق به حتى النقط والشكل واحتاطوا
في ذلك حتى جردوه من كل ما يخالف شكله كي لا يختلط به غيره ونقل الينا
متواترا فعلم أن المكتوب في المصاحف المتفق عليها من الصحابة هو القرآن
وما هو خارج عنها ليس بقرآن اذ يستحيل في العرف والعادة مع توفر
الدواعي على حفظه وضبطه ان يهمل بعضه فلا ينقل أو يختلط به
ما ليس منه

وهو علم شخصي على ما يصدق عليه هذا المفهوم من أول سورة الحمد
الى آخر سورة الباس عند الاصوليين والفقهاء وأهل العربية الباحثين عن
أقواله المحتجين بإبعاضه وأجزائه وانما حدوه بما ذكر من أوصافه مع تشخيصه
لضبط أجزائه وتميزه عما لا يسمي باسمه من الكلام كالتوراة والانجيل
والاحاديث النبوية والقدسية وما نسخت تلاوته

وعلميته اما باعتبار أول نزوله أى تشخيصه بأول محل وجد فيه ولا
 التفات لتعدد بتعدد المحال الطارىء بعد ذلك فهو واحد أينما حل وكان
 التشخيص الذى وضع العلم باعتباره غير داخل فى المسمى
 أو باعتبار وضعه المؤلف لخصوص الذى لا يختلف باختلاف المتلفظين
 به للقطع بأن ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه
 وسلم بلسان جبريل عليه السلام . ولو كان عبارة عن ذلك الشخص القائم
 بلسان جبريل فقط لكان ما يقرؤه غيره مما ناله لاعتينه ضرورة ان
 الاعراض تشخص بها فما فتعدد بتعدد المحل ومن نظر الى ذلك جملة
 علم جنس وقيل هو موضوع للقدر المشترك بين المجموع وبين اجزائه فاما
 كلى كالمشترك الغوى وقيل هو موضوع لكل واحد منهما بوضع فيكون
 مشتركا لفظيا وعبارة التلويح محتملة لهذين المعنيين حيث قال ثم كل من
 الكتاب والقرآن يطابق عند الاصوليين على المجموع وعلى كل جزء
 منه لانهم انما يبحثون عنه من حيث أنه دليل على الحكم وذلك آية
 لا يجمع القرآن فاحتاجوا الى تحصيل صفات مشتركة بين الكل والجزء
 مختصة بهما لكونه معجزا منزلا على الرسول مكتوبا فى المصاحف منقولا
 بالتواتر فاعتبر بعضهم فى تفسيره جميع الصفات لزيادة التوضيح وبعضهم
 الانزال والاعجاز لان الكتابة والنقل ليسا من اللوازم لتحقيق القرآن
 بدونهما فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم الانزال والكتابة
 والنقل لان المقصود تعريف القرآن لمن لم يشاهد الوحي ولم يدرك زمن
 النبوة وهم انما يعرفونه بالنقل والكتابة فى المصاحف ولا ينفك عنهما فى
 زمانهم فهما بالنسبة اليهم من أبين اللوازم وأوضحها دلالة على المقصود
 بخلاف الاعجاز فانه ليس من اللوازم البينة ولا الشاملة لكل جزء اذ المعجز
 هو السورة أو مقدارها اهـ

ومن اقتصر على الإعجاز نظر الى أنه الوصف الذاتي والآية المصدقة
لرسول المثبتة لرسالته صلى الله عليه وسلم أو قرآنيته وان كان الإعجاز ليس
بجميع ابعاضه بل باى سورة منه أو قدر اقصر سورة من آيه

✕ (٤) معنى القرآن عند المتكلمين

ويطلق القرآن عند المتكلمين كما فى الالوسى وغيره على الكلمات الغيبية
الازلية من أول الفاتحة الى آخر سورة الناس وهى الالفاظ الحكيمية المجردة
عن المواد مطلقا حسية كانت أو خيالية أو روحانية المترتبة بصفته تعالى
القديم من غير تعاقب فى الوضع العلمى تحقيقا بل تقديرا عند تلاوة الالسنه
السكونية الزمانية وهو بهذا المعنى متصف بكونه منزلا على النبي صلى الله عليه وسلم

✕ (٥) معنى انزال القرآن

ومعنى تنزله مع كونه نفسيا أزليا اظهار صورته فى المواد الروحانية والخيالية
والحسية اذ لا معنى لانزال الكلام النفسى الا انزال صورته الا ترى أن
ما فى النفوس البشرية من الكلام النفسى المرتب بملكانهم انما يظهر فى مقاطعهم
وعلى ألسنتهم بصورته الحرفية الصوتية وكلماته المسعرة المقروءة واما ذاته
فلا تنزال قائمة بالنفس باقية بها لا تنتقل اذ هى عرض والاعراض لا يجوز
عليها الانتقال فعنى ذكر الكلام النفسى وبراذه وانزاله اظهار صورته اللفظية
فى الحروف والكلمات المذكورة المنزلة

ومن هنا قال أهل السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب
فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالالسنه مسموع بالأذان غير حال
فى شئ منها وهو فى جميع هذه المراتب قرآن أيضا حقيقة شرعية معلوم من
الدين بالضرورة أى ان لفظ القرآن كما يطابق على الكلمات الغيبية الازلية

يطلق حقيقة شرعية بل وعرفية ولفوية أيضا على صورتها الكونية المتجددة التي هي مظاهر تلك الكلمات الغيبية المنزلة في هذه المراتب الحادثة من غير حلول فيها ولا انفصال عن ذاته المقدسة وهذه الصور الكونية هي التي أطلق عليها لفظ القرآن علما شخصيا بدون التفات الى تمددها أو جنسها كما تقدم ومعنى كونها منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم أى على لسان جبريل ، أوفى اللوح المحفوظ أنها منشأة ومتجددة بذاتها أو بحروفها وكلماتها في قلوبهم وألسنتهم ومجمولة برقومها في اللوح كما يخلق الله الكلام اللفظي في ألسنتنا والكلمات النفسية في صدورنا

٦) لا يقال ان القرآن حادث أو مخلوق

ومع ذلك لا ينبغي أن يقال ان القرآن بهذا المعنى حادث أو مخلوق تحاشيا من الذهاب الى المعنى القديم وفي مقام التعليم ينبغي الإشارة اليه بقدر ما تقتضيه ضرورة التفهم كما وقع لابن عباس رضى الله عنهما فقد أخرج ابن مردويه عن طاووس قال جاء رجل الى ابن عباس من حضرموت فقال له يا ابن عباس أخبرني عن القرآن الكلام أم كلام الله تعالى أم خلق من خلق الله سبحانه وتعالى قال بل كلام من كلام الله تعالى أو ما سمعته سبحانه يقول وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فقال له الرجل أفرأيت قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا قال كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بالعربية اما سمعت الله تعالى يقول بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ اه فانظر الى ابن عباس رضى الله عنهما كيف افهم الرجل الحضرمي وأجابه عن سؤاله وحاصله أنه يقال القرآن من كلام الله تعالى ولا يقال أنه خالق من خلقه وما ورد عن الله تعالى من كونه مجمولا نقول فيه أنه مكتوب أو مثبت في اللوح المحفوظ ولا نقول مخلوق أو محدث لان القرآن اللفظي صورة تجلى

فيها الكلام النفسى كما تجلى جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبي وذاته لم
 تفارق سدرة المنتهى وكما يتجلى الحق جل شأنه يوم القيامة فى الصور
 المعروفة وغير المعروفة من غير حلول واتحاد وهو جل شأنه متعال عن الصور
 والامثال فكما لا يقال فى الصور التى يتجلى فيها الحق جل شأنه أنها خلق
 من خلقه سبحانه كذلك لا يقال للصور التى تجلى فيها القرآن القديم انها
 خلق من خلقه وانما هو كلام من كلامه المنزه عن المثل فان نسبة كلام
 البشر الى تلك الصور القرآنية كنسبة صفاتهم الى صفاته القديمة إن
 كان بين النسبتين بون بعيد فلذا قابل السائل بينهما حيث قال أمن كلام الله
 تعالى ام خلق من خلق الله سبحانه واجابه حبر الامة كذلك بانه من كلام
 الله لا خلق من خلقه فافهم الاعرابى كلامه بكلامه تعالى ففهم وسكت فما
 ألفت البيان بالتبيان وسبحان الفتاح العظيم وهل أراد ابن عباس رضى الله
 عنهما أن القرآن الكلام وان كان خلقا من خلق الله تعالى وجعولا أى مخلوقا
 لا يطلق عليه ذلك أدا وتحاشيا من الذهاب الى القديم وهو الظاهر أو
 اراد نفى كونه مخلوقا لانه صورة كلامه القديم ودال عليه وبجلى لصفته
 النفسية والمخلوق من جوهر وعرض لا يكون كذلك بل هو أثر مباين لذاته
 تعالى وصفاته ليس له من الاختصاص بهما ما للقرآن الكلام من
 الاختصاص بصفته الازلية وكلماته الغيبية والخلق انما يطاق شرعا وعرفا
 على الاثر المباين لفاعله دون الجلى والمظهر الدال على ذاته او صفته وقديشير
 الى هذا قوله خلق من خلقه أى من جنس مخلوقاته المباشرة التى ليست
 بمثابة القرآن فى النسبة اليه تعالى ولذا يقال له وهو فى هذه المرتبة كلام الله
 كما يقال لكلامه النفسى ووصفه بالمحدث أى المتجدد فى قوله تعالى
 (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) ليس
 باعتبار نفسه وانما هو باعتبار تنزيله لان الغرض من الآية بيان أنه كلما

تجدد لهم التنبيه والتذكير وتكررت على أسماعهم كلمات التخويف والتحذير لا يزيدهم ذلك الا نفورا واعراضا لان ذلك المنزل حادث أو قديم كما لا يخفى على ذى فهم مستقيم وما ورد ان الله خالق آدم على صورته فليست الصورة فيه من قبيل صورة الكلام اللفظي للكلام النفسي بل معناه أنه خلقه جامعا لصفات السكالم من حياة وعلم وقدرة وارادة وكلام وسمع وبصر وليست هذه في آدم عايمه السلام ولا في غيره من ذريته مهما بلغ من الكمال بحالى لصفاته تعالى وصورة لها دالة عليها دلالة القرآن الكلام على صفته النفسية وكلماته القدسية بل هي من اثاره الكونية وان كانت تظهر اسمائه وصفاته بمعنى متعلقها الجلى على ان الامام تاج الدين ابن السبكي نقل عن أبى عاصم ان محمد بن اسحاق بن خزيمه المولود سنة ٢٢٣ قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خالق آدم على صورته فيه سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجهه رجل فقال لا تضرب على وجهه فان الله خالق آدم على صورته وكذلك قاله أبو علي بن أبي هريرة في تعليقه اه

وقول أهل السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في المصاحف الخ دال على ان تنزل القرآن القديم في تلك المظاهر غير قاذح في قدسيته لكونه غير حال في شيء منها مع كون كل منها قرآنا حقيقة شرعية بلا شبهة كما ذكره الألوسي وغيره وقد أشار في اليواقيت والجواهر الى تنزل الكلام في الصور اللفظية حيث قال فان قلت فما مثال الوحي اذا ظهر لنا بالا لفاظ فاجواب أن مثال ظهور الوحي بالا لفاظ مثال ظهور جبريل عليه السلام في صورة دحية فان جبريل حين ظهر فيها لم يكن بشرا محضاً ولا ملكاً محضاً فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين ولم تبدل حقيقة التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدى يتمثل بلسان العربى تارة وبلسان العبرى تارة وبلسان السريانى أخرى وهو في ذاته أمر واحد ازلي اه

ومثل ذلك ظهور الكلام النفسي في الصور الكتابية والخيالية ومن هنا يتبين معنى ظهور القرآن في صورة الرجل المشاحب يلقي صاحبه حين ينشق عنه القبر وظهوره خصماً لمن حمله بخلاف امره كما ذكره العلامة الألوسي وغيره

(٧) اطلاق القرآن علي الصفة القديمة

ويطلق القرآن ايضاً عند المتكلمين على الصفة القديمة باعتبار تعلقها بكلماته الغيبية أى ترتيبها أزلاً وتعلقها بمعاني تلك الكلمات التي هي معاني صورها المنزلة المسمى كل من تلك الكلمات والصور قرآناً كما أنها تسمى توراة وانجيلا وزبوراً بهذا الاعتبار ولفظ كلام الله تعالى يطلق على ما يطلق عليه لفظ القرآن من اللفظ المنزل ومن الكلمات الغيبية الازلية وعلى الصفة القديمة التي ليست من جنس الحروف والاصوات أصلاً بل هي واحدة بالذات تعدد تعلقاتها المعنوية الازلية حسب تعدد المتكلم به من الكلمات الغيبية الازلية كما تعدد تعلقاتها التنجزية الاضافية الحادثة حسب تعدد تنزلاتها الكونية في عالم المواد والصور وهي بالاعتبار الاول متنوعة أزلاً الى أمر ونهي وخبر واستخبار .

وبالاعتبار الثاني متنوعة فيما لا يزال الى ذلك والخلاف المشهور في كون الكلام متنوعاً في الازل أو فيما لا يزال منظور فيه للصفة القديمة باعتبار تعلقها بالاشياء أى دلالتها عليها من حيث كونها خبراً أو استفهاماً أو أمراً أو نهياً الى غير ذلك وأما الكلام النفسي بمعنى الكلمات الغيبية أو بمعنى الصفة القديمة من حيث تعلقها بتلك الكلمات وترتيبها لها فلا نزاع في تنوعه أزلاً كما أنه لا نزاع في أن الكلام النفسي باعتبار تعلقه بالتنجزى ليس متنوعاً أزلاً

(٨) اطلاق القرآن وكلام الله تعالى على ما بين دفتي المصحف

وكلام الله تعالى كالقرآن يطلق ايضاً شرعاً على ما بين دفتي المصحف من
الرقوم والدالة عليه ومعنى كونها قرآناً أنها دالة عليه لأنها نفس القرآن لان القرآن
اما الصفة القديمة او الكلمات الغيبية أو النظم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
فان الله سبحانه وتعالى كما هو متكلم بالوحي بكلام حقيقي حروفه عارضة
للمصوت وذلك يسمى قرآناً حقيقة شرعية كما يسمى كلام الله تعالى كذلك
متكلم بكلام حقيقي حروفه ليست عارضة للمصوت الحادث يسمى قرآناً
كما يسمى كلام الله تعالى والاول لفظ حقيقي لا يتجمع أجزاءه في الوجود
والثاني لفظ حكى لا تماقب فيه بل أجزاءه مجتمعة في الوجود وهو الكلام
النفسي الحقيقي والاول صورة له ومظهر من مظاهره التي يتجلى فيها كلامه
الحقيقي ووصفه القديم الازلي وهو الملفوظ باللفظ الخارجى الذى هو الصورة
الحادثة وان كنا لا نطلق عليه ذلك كما تقدم

(٩) (انزال القرآن)

تقدم ان القرآن يطلق على الكلمات الغيبية الازلية وعلى الصفة القديمة
العامة بذاته تعالى وأنه بهذا المعنى يتصف بالانزال والنزول ومعنى انزاله
اظهاره من عالم الغيب الى عالم الشهادة باظهار صورته الكونية لدى
السفرة أوفى اللوح المحفوظ أو على قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما يطلق
على تلك المراتب المتجددة والصور الكونية الظاهرة ويتصف أيضاً بالانزال
والنزل والكتابة والقراءة بمعنى اظهار ذاته لاظهار صورته قال الاصفهاني
في أوائل تفسيره كما نقله عنه صاحب الاتقان اتفق اهل السنة والجماعة على
ان كلام الله منزل واختلفوا في معنى الانزال فهم من قال اظهار القراءة

ومنهم من قال ان الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال
عن المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الارض وهو يهبط في المكان
وفي التنزيل طريقان أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من
صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل والثاني ان الملك انخلع
الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين اه

وقال القطب الرازي في حواشي الكشف والانزال لغة بمعنى الايواء
وبمعنى تحريك الشيء من الملو الى أسفل وكلاهما لا يتحقق في الكلام
فهو مستعمل فيه في معنى مجازي فمن قال القرآن مني قائم بذات الله تعالى
فانزله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى وينبثها في اللوح
المحفوظ ومن قال القرآن هو اللفاظ فانزله مجرد اثباته في اللوح
المحفوظ وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين ويمكن
ان يكون المراد بانزله اثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ
وهذا مناسب للمعنى الثاني والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها
الملك من الله تلقفاً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها
ويلقيها عليهم اه والتلقف الاخذ بسرعة ومعنى التلقف الروحاني أن
يحصل له قرب واتصال روحاني فينقش في ذاته لا من طريق السمع
والكلام الذي اراد الله ارساله للرسول ويلهمه بوحيه اليه وقيل الانزال
بسماع الحروف والاصوات من جميع الجهات خلاف العادة أو سماع
كلامه تعالى بلا صوت على رأى من جوز سماع الكلام الفصلي كما نقله
عبد الحكيم عن البيضاوي في حواشيه بعد أن حكى القولين السابقين

(١٠) اثبات القرآن في اللوح المحفوظ

والقرآن أثبت في اللوح المحفوظ بصورة كتابية لا يعلم وقت اثباته

ولا يدرك كنه حقيقته الا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه ممن ارتضى من ملك
أو رسول (-) قى ذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف
منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها الا الله ومثل
هذا لا يدرك الا بالكشف أو الوحي) وليس بمستغرب فإن من وقف على ما تقرر
في علم الهيئة من التفاوت الشاسع بين خلق العالم العلوى من أفلاك وكواكب
وبين خلق العالم السفلى من أرض وبحار وحيوان ونبات لا يستغرب هذا
التدبير فيما يكتب في اللوح المحفوظ الذى هو فوق الكرسي وتحت الفلك
الاعظم المعبر عنه في لسان الشرع بالعرش وقد اخرج ابن جرير وابو
الشيخ وابن مردويه عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الكرسي فقال يا أبا ذر ما السموات السبع والارضون السبع عند
الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن فضل العرش على الكرسي
كفضل الفلاة على تلك الحلقة وروى عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ
من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب
وهذا كغيره مما جاء في هذا الباب بيان منه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
وسع كرسيه السموات والارض وهو تقريب وتمثيل والا فالعرش واللوح
والكرسي والعلم والسموات السبع لا يدرك قدرها ولا يحيط بها الا العلى
العظيم والمراد بالمعاني المنطوية تحت حروف القرآن العظيم ما يشمل المعاني
الاشارة التي يلهمها الله تعالى لاوليائه وأصفياه والمعاني النظرية التي
يدركها من القرآن من لطف ذهنه واستقام فهمه واستضاء بنور العلم والدين

(١١) (انزال القرآن الى سماء الدنيا)

ثم أنزل من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا بالبيت المعمور وهو بيت
العزة محل في سماء الدنيا مسامتة للكعبة بحيث لو نزل لزل عليها ثم نزل منجما

على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين سنة واختلف في أنزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا على ثلاثة أقوال كما في الاتفاق وغيره أحدها أنه نزل ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم منجما وثانيها أنه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله أنزاله في السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة وثالثها أنه ابتدئ بانزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي قال ابن حجر في شرح البخارى والاول هو الصحيح المعتمد بل حكى بعضهم الاجماع عليه وكان عليه الصلاة والسلام يأتيه الوحي بالقرآن أحيانا في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وأحيانا في صورة رجل فيكلمه وهو أهون عليه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت مقال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعنى ما يقول وأحيانا كان ينفث في روعي الكلام نثما وأحيانا يأتيه الملك في النوم ومن هذا سورة الكوثر كما قيل وأحيانا يكلمه الله اما في اليقظة كما في ليلة الاسراء أو في النوم كما في حديث معاذ أتاني ربي فقال فيم يختصم الملائكة الاعلى الحديث

وقال في الاتفاق وليس في القرآن شيء من هذا النوع فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة كما تقدم وبعض سورة الضحى وألم نشرح الى آخر ما ذكره فراجع ثم قال أبو شامة فان قيل ما السر في نزول القرآن منجما وهلا نزل كما نزل الكتب جملة قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ينعون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله كذلك أي أنزلناه كذلك

مفرقا لثبت به فؤادك أى لنقوى به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل اليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملائك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناح العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقياء جبريل حتى كان يعارضه القرآن كل سنة فى شهر رمضان مرة فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين وهذه العرضة الاخيرة هي التي عليها قراءة الناس اليوم كما جاءت به الآثار وأجمع الناس عليها وعليها كانت كتابة المصاحف العثمانية باجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والمستفاد من الاحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل وقد صح نزول العشر آيات فى قصة الأفك جملة وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة وصح نزول غير أولى الضرر وحدها وهي بعض آية وكذا قوله تعالى وان خفتم عيلة الى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية

(١٢) (اعجاز القرآن فى أسلوبه العربى)

ثم القرآن فى مرتبة نزوله الى الالفاظ الحقيقية العربية هو المعجز أى أنه فى هذا الاسلوب العربى معجز وتنزله فى مراتبه الحادثة لا يخرج عن كونه منسوباً اليه تعالى وأنه كلامه كما تقدم أما فى مرتبة الخيال فلقوله صلى الله عليه وسلم أغنى الناس جملة القرآن من جملة الله تعالى فى جوفه وأما فى مرتبة اللفظ المسموع فكقوله تعالى واذصر فناديك تقرا من الجن يسمعون القرآن وأما فى مرتبة الكتابة فكقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ والصحيح ان جميع كلمات القرآن المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم

عربية وان نحو ناشئة الليل وأؤني معه وسجيل واستبرق وقسورة من
 الاحرف التي اتفق فيها الفاظ العرب وغيرها من بعض أجناس الامم
 قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وليس بمستنكر
 أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الامم المختلفة
 الاسن بمعنى واحد فكيف بجنسين منها كالفرس والعرب وفي هذه الحالة
 يصح النسبة الى كلتا اللغتين أو اللغات لان من نسب شيئا من تلك الى
 لغة لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبته اليه أن يكون من لغة أخرى وانما يكون
 الاثبات دليلا على النفي فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني اهـ

وفي كثير من اللغات الحية الفاظ مشتركة ترجع في وضعها الى الاصل
 الذي تفرعت منه هذه اللغات وقد تشترك هذه اللغات في مادة الكلمة
 ولسكنها تختلف في هيئتها تبعاً للاستعمال وصقل الاسنة كما يوجد ذلك
 كثيرا في الكلمات المعربة التي أخذها العرب من الفارسية وصقلوها بالسننهم
 وأجروا عليها خصائص لغتهم

(١٣) (القرآن عربي بالنص)

وكونه مجعولا عربيا بالنص كما قال الله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا
 فلا سلوب العربي معتبر في مفهومه بل لا يطلق اسم القرآن معرفا شرعا الا
 على اللفظ العربي المعجز فاذا كان غير عربي أو عربيا غير معجز لا يسمى
 قرآنا بالتعريف نعم اطلاق القرآن على الالفاظ الحقيقية العربية المعجزة
 انما هو من حيث دلالتها على المعنى المستفاد فهو اسم للنظم العربي الدال
 على المعنى المنزل للاعجاز والتدبر والتذكر كما أن القرآن بمعنى الكلمات الغيبية
 اسم للالفاظ الحكيمة الدالة على المعنى ومن هنا قال بعض المحققين القرآن
 اسم لمجموع النظم والمعنى المستفاد فجرد النظم لا يسمى قرآنا كما أن المعنى

لا يطلق عليه اسم القرآن الا على ضرب من التجوز واقامة المعنى مقام اللفظ
ومنه قوله تعالى وانه لقى زبر الاولين وفيها المعنى دون اللفظ أطلق عليه
اسم القرآن لانه الركن المقصود حتى جمل كانه القرآن ووصف بكونه في
زبر الاولين لا لان المعنى يسمى قرآنا حقيقة لمخالفته للنصوص القطعية
والاجماع علي أن القرآن اسم للنظم العربي الدال على المعنى المستفاد فلا
يتناول الا ما نزل به الروح الامين من النظم المعجز ولا دلالة في الآية على
أن القرآن يطلق على غير الاسلوب العربي من أى لغة كانت اما على أن
المрад بقوله وانه لقى زبر الاولين ان ذكر القرآن في الكتب المتقدمة
بناء على ان الضمير للقرآن والكلام على حذف مضاف وهذا كما يقال ان
فلانا في دفتر الامير فظاهر وأما على ان المراد به أن معناه في الكتب
المتقدمة فليس فيه الا اطلاق اسم القرآن على المعنى دون اطلاقه على
ترجمته باسلوب آخر وقد علمت وجهه وانه على ضرب من التجوز وفي
الكشف ان القرآن ان كان هو المنزل للعجاز الى آخر ما يذكر في معناه
فلا شك ان الترجمة ليست بقرآن وان كان هو المعنى القائم بصاحبه فلا
شك أنه غير ممكن القراءة فان قيل هو المعنى المبر عنه بأى لغة كانت قلنا
لا شك في اختلاف الاسامى باختلاف اللغات فكما لا يسمى القرآن
بالتوراة لا تسمى التوراة بالقرآن فلاسماء لمخصوص العبارات فيها مدخل
لا أنها مجرد المعنى المشترك اهـ

نعم لفظ قرآن منكرا لم ينقل من معناه اللغوى فيتناول كل مقروء
بأى لغة كانت كما يشهد له قوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) فانه يستلزم تسميته قرآنا أيضا لو كان

أعجميا فليس لخصوص العبارة العربية مدخل في تسميته قرآنا بالتنكير
 بخلاف المعروف فقد أطبقوا على أنه اللفظ العربي وأنه لخصوص العبارة
 العربية مدخلا في تسميته قرآنا كما قال تعالى (انا أنزلناه قرآنا عربيا)
 وقد جاء كذلك في الآية الدالة على وجوب القراءة أعني قوله سبحانه
 (فاقروا ما تنسروا من القرآن) أمر بقراءة القرآن في الصلاة والقرآن
 المعروف هو اللفظ المنزل بلغة العرب فلا يكون الفارسي ونحوه قرآنا فلا
 يخرج به عن عهدة الامر ولذا ذهب الشافعي رضي الله عنه الى عدم جواز
 القراءة في الصلاة بغير العربية سواء كان يحسن العربية أولا وقال أبو يوسف
 ومحمد بن الحسن ان كان يحسن العربية لا يجوز وان كان لا يحسنها جاز
 نظرا الى أنه اذا لم يحسن العربية فقد عجز عن مراعاة لفظه فيجب عليه
 مراعاة معناه ليكون التكليف بحسب الامكان والى قولهما كما صح رجوع
 الامام أبو حنيفة رضي الله عنه وعليه الاعتماد كما في فتح القدير بعد أن
 كان يقول بالجواز في الصلاة مطلقا أحسن العربية أم لا معللا ذلك بأن
 الواجب في الصلاة قراءة القرآن من حيث هو لفظ دال على كلام الله
 تعالى الذي هو صفة قائمة به لا من حيث هو لفظ عربي ومعنى الدلالة
 عليه لا تختلف بين لفظ ولفظ قال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) ومعلوم
 انه ما كان بهذا اللفظ بل بهذا المعنى وكون العربية قرآنا لا ينفي أن يكون غيرها
 قرآنا لانها سميت قرآنا لدالتها على ما هو القرآن وهي الصفة التي هي
 حقيقة القرآن ومعنى الدلالة يوجد في الفارسية مثلا فجاز تسميتها قرآنا
 دل عليه قوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) فقد أخبر انه لو تتر عنه
 بلسان العجم كان قرآنا (انظر بدائع الصائغ والبحر الرائق) وقد علمت
 ما فيه وأن الوجوب في الآية متعلق بالقرآن المعروف والمفهوم منه في عرف

الشرع إنما هو اللفظ العربي الدال على المعنى المستفاد دون المعنى فقط
ودون لفظ آخر فإذا زال اللفظ العربي لم يكن المعنى قرآنا فلا معنى للايجاب
وإنما وجب حال العجز عند الصاحبين والامام على ما رجع اليه أخيرا
لما تقدم وإن كان للشافعي أن يمنع وجوب مراعاة المعنى عند العجز عن
اللفظ العربي لانه ليس بقرآن وليس في الآية ما يفيد وجوب مراعاته
ولو سلم دلالتها عليه بارادة التبعية في قوله تعالى (فاقروه) وما تيسر من
القرآن (أى بعضه وهو المعنى بناء على أن القرآن اسم لمجموع النظم
والمعنى فمع ما فيه كما لا يخفى لا يجب أن تكون مراعاة المعنى بلفظ آخر
ليس من القرآن في شيء بل يمكن مراعاته بنفسه بأن يلاحظه بدون قراءة
ويراد بالقراءة في قوله تعالى (فاقروه) ما تيسر من القرآن) ما يشمل
التلفظ به وملاحظة معناه وما قيل ان النظم مقصود للاعجاز وحالة الصلاة
المقصود من القراءة فيها المناجاة لا الاعجاز فلا يكون النظم لازما فيها
فردود لانه معارضة للنص بالمعنى فإن النص طلب بالعربي وهذا التعليل
يجزئه بغيرها وأما قوله تعالى (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين) فمعناه والله أعلم كما في الالوسي وغيره لو نزلنا القرآن
كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين فقرأه ذلك البعض عليهم
قراءة صحيحة خرقا للعادة ما كانوا به مؤمنين لقرط عنادهم وشدة
شكيمتهم في المكابرة أو فقرأه محمد صلى الله عليه وسلم عليهم وفهموه
خرقا للعادة ايضا ما كانوا به مؤمنين فكذلك هؤلاء لانهم كالانعام بل هم
أضل سبيلا ولو سلم أن المراد بقوله (ولو نزلناه على بعض الأعجمين)
بلغه المعجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) فمع بعده عما يقتضيه مقام
بيان تماديهم في المكابرة والعناد فقد أجيب عنه بأن ضمير نزلناه ليس راجعا

الى القرآن المختص المأخوذ في مفهومه العربية بل الى مطلق القرآن
ويراد منه ما يقرأ أعم من أن يكون عربيا أو غيره وهذا نحو رجوع
الضمير للمام في ضمن الخاص في قوله تعالى (ما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب) فان ضمير عمره راجع الى شخص بدون وصفه
بمعمر اذ لا يتصور نقص عمر لمعمر كما لا يخفى وبالجملة فنصوص
الكتاب والسنة دالة على اعتبار العربية في مفهوم القرآن فقد أخرج
البهيقي من طريق يونس عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي عن أبيه
من حديث فيه طول قال رجل يا رسول الله ما أفصحك ما رأينا الذي
هو أعرب منك قال حق لي فانما نزل القرآن علي بلسان عربي مبين كما
قال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين) وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وكان ابن عباس
رضي الله عنهما يقول ما أنزل الله عز وجل كتابا الا بالعربية اذ هي أوسع
اللغات ولكن كان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه
وليس في القرآن العظيم الا لغة العرب وربما وافقت اللغة منه غير لغة
العرب والاصل عربي لا يخالطه شيء وكانت العرب على اختلاف
شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم ترد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتأخذ عنه القرآن فكان صلى الله عليه وسلم
يترجم لكل قبيلة بحسب لغتها من قبائل قريش وكنانة وحمْير وهذيل
وطي وجهم ومذحج وغيرهم من قبائل العرب وربما أطال المد أو قصره
لمن لغته كذلك وربما نفخ لمن لغته النفخيم وربما أمال لمن لغته الامالة
وربما أدغم لمن لغته الادغام وربما رقق لمن لغته الترقيق وهكذا في

سائر وجوه الاداء والاحكام التي أمرنا الله بها ونهانا عنها في القرآن كلها واحدة لا تتغير في جميع القراءات فلما وقع الضبط وأخذ القراء القراءات عن القبائل ضبط كل انسان ما سمع فقط اذ القياس هنا ممنوع وجميع التباين كلها قرآن عربي منزل أوحى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو جاز أن يترجم من القرآن بغير ما أوحى به اليه بلسان عربي لم يخرج عن مرتبتين لأنه اما ان يترجم بلفظ مساو للوحي أو دونه فان كان دونه لم يصدق عليه أنه صلى الله عليه وسلم باغ ما أنزل اليه من ربه وذلك محال في حقه وان كان مساويا فلا فائدة في العدول عن الوحي من الله بلفظ مساو له على أنه لا يقدر عليه لا يحجزه فما بقي الا أنه صلى الله عليه وسلم باغ ما أنزل اليه من ربه بحروفه العربية الحاملة لمعانيه القديمة التي لا تتغير

(١٤) (حديث نزل القرآن على سبعة أحرف)

وروى جمع من الصحابة يبلغ عددهم واحدا وعشرين صحابيا حديث نزل القرآن على سبعة أحرف حتى نص أبو عبيدة على تواتره واختلف في معناه على أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاتقان وبين ما لها وما عليها والاختار منها أن المراد سبع لغات واليه ذهب أبو عبيدة وثماب والزهرى وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقي في الشعب وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجم من هوزان ويقال لهم علماء هوزان ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علماء هوزان وسنلى تميم يعني بنى دارم قال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوزان وبعضه بلغة اليمن ومعناه ان جبريل عليه السلام كان يأتي في

كل عرضة بحرف الى أن تمت السبعة وذلك تخفيف وتيسير على الامة في التكلم بكتابهم كما خفف عنهم في شريعتهم هذا هو المعول عليه وقال ابن قتيبة لم ينزل القرآن الا بلغة قریش واحتج بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قریش وبذلك جزم أبو على الاهوازی وذكر الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره المسمى جامع البيان عدة روايات في حديث نزل القرآن على سبعة أحرف قال وفي حديث أبي بن كعب أنه قال سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرأها قراءة تخالف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسالتهما من أقرأ كما فتالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاذهبن بكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خالفتما ما أقرأني صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدهما اقرأ فقرأ فقال أحسنت ثم قال للآخر اقرأ فقرأ فقال أحسنت قال أبي فوجدت في نفسي وسوسة الشياطين حتي احمر وجهي فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي فضرب بيده في صدرى ثم قال اللهم احسأ الشيطان عنه ياأبي أنا أنى أت من ربى فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت ربى خفف عني ثم أنانى الثانية وهكذا الى الرابعة قال له ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وزاد في رواية عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب بأية رحمة أو آية رحمة بأية عذاب والمراد أنه وسع له صلى الله عليه وسلم بتوقيف الهى ووحى سماوى أن يقرأ ويقرئ أمته بما نزله من هذه الاحرف كما يشير اليه حديث ابن عباس حيث قال قال صلى الله عليه وسلم قد وسع لي أن أقرئ كل

قوم بلغتهم بعد أن كان جبريل عليه السلام ينزل على في كل عرصة بذلك
 وليس المراد أن يقرأ ما يشاء تحت هذا الضابط فان ذلك لا يقول به أحد
 من المسلمين وفي رواية أخرى على سبعة أحرف لا تختلف في حلال ولا
 حرام ولا أمر ولا نهى هي كقوله تعالى وهلم واقبل وفي رواية كقراءة ابن
 مسعود ان كانت الازقية واحدة وقراءة غيره ان كانت الاصبحة واحدة
 قال ابن هشام بلغني ان تلك السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون
 واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام وعن هشام بن علي عن زيد بن علقمة
 النخعي قال لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع اليه أصحابه
 فودعهم ثم قال لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشي ولا ينفد بكثرة
 الرد وان شريعته الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شيء
 من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه
 جامع ذلك كله لا يختلف فيه الحدود والفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام
 ولقد رأيتنا تنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأمرنا نقرأ عليه
 فيخبرنا أن كلنا محسن ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني
 لطالبته حتى أزداد علمه الى علمي ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم سبعين سورة قد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل
 رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين فكان اذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني
 اني محسن فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها ومن قرأ على شيء من هذه
 الحروف فلا يدعنها رغبة عنه فان من جحد بآية جحد به كله الى غير ذلك من
 الاخبار الدالة على أن اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف الفاظ وتلاوة
 لا اختلاف معان موجبة لاختلاف أحكامه فان تمار بهم في القرآن وأحكامهم
 فيه الى رسول الله ﷺ بهذه الكيفية يدل على أن خلاف بعضهم بعضاً انما هو في

نفس التلاوة لا في معناها قال أبو جعفر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
 نزل القرآن على سبعة أحرف وأمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف
 أنه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن والمراد بكونه لا يختلف
 نفى الاختلاف الموجب للتناقض والتضاد كما قال ولو كان شيء من الحرفين
 ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف يعنى المشار اليه بقوله
 تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذلك محال
 وأما اختلاف الأحرف المذكورة ومثلها القراءات المشهورة في التلاوة
 أو المعنى الذي لا يوجب تناقضا فذلك واقع في القرآن لعوائد لا تحصى
 وقد تعرض لبيان شيء منها علماء القراءات والتفسير

(١٥) حديث نزل القرآن في سبعة أبواب

ثم قال أبو جعفر وكما أنزل القرآن على سبعة أحرف بهذا المعنى نزل
 على سبعة أحرف كما ورد بمعنى الوجوه المتنوعة فقد روى عن ابن مسعود
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الكتاب الأول نزل من باب
 واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف
 زجر وأمر وحلال وحرام وبحكم ومتشابه وأمثال فاحلوا حلاله وحرموا
 حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتهم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بحكمه
 وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا وعن أبي قلابه قال باننى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر
 وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل الى غير ذلك من الأحاديث التي
 تفهم أن القرآن نزل على سبعة أوجه من المعاني ولكن هذه الأوجه
 السبعة ليست معنى للأحرف السبعة الواردة في الأخبار المتقدمة وأشار

بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المار على حرف واحد وعلى سبعة
أحرف الى ما خصه الله به وأهله من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحداً
في تنزيله فان كل كتاب من الكتب المتقدمة انما نزل بلسان واحد
متى حول الى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك ترجمة له وتفسيراً لا تلاوة
له على ما انزل الله وأنزل كتابنا بالسن سبعة بأى تلك اللسان السبعة
تلاه النالى كان له تالياً على ما أنزل الله لا مترجماً ولا مفسراً حتى يحوله عن
تلك اللسان السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب
معناه مترجماً له ومفسراً لا تالياً على ما أنزله الله وعنى بقوله صلى الله عليه
وسلم كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة
أبواب أن ما نزل من كتب الله تعالى على أنبيائه انما نزل ببعض المعاني
السبعة لا بجمعها كزبور داوود فانه نزل بالتذكير والمواظ والنجيل عيسى
فانه بتمجيد ومحمد وحض على الصنف والاعراض دون غيرها من الاحكام
والشرائع وحينئذ لا يجد المتعبدون بأقامتها لرضي الله تعالى مطلباً ينالون به
الجنة ويستوجبون منه القرية الامن الوجه الذي انزل به وذلك هو الباب الواحد
من أبواب الجنة الذي نزل به ذلك الكتاب بخلاف كتابنا الذي خص الله
به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمة فانه نزل على أوجه سبعة أى
من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها
فلكل وجه من أوجه السبعة باب من أبواب الجنة التي نزل بها القرآن
لان العامل بكل وجه من أوجه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب
من قبله الفوز به فاعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب
الجنة وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه
باب ثالث من أبوابها وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها

والإيمان بحكمه باب خامس والنسليم بمشابهه باب سادس والاعتبار بأمثاله
والإعطاء بعظاته باب سابع من أبوابه فجميع ما في القرآن من حروفه
السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هادياً
ولهم الى الحبة قائداً فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن من
سبعة أبواب الجنة اه ملخصاً

المقالة الثانية

(١٦) (في حكم تجويد القرآن وأركان قراءته)

وقد فرض الله تعالى على الامة ضبط القرآن وتعلمه وروايته على الوجه الذي
نزل به بمعنى أنه يجب أن يكون في كل عصر طائفة من الامة تباعج حد التواتر
يقومون بتجمله وروايته باللغة التي نزل بها ويحفظونه من التحريف والتغيير
والتبديل وأن يكون فيهم من يعرف اوجه القراءات والطرق والكيفيات
المتلقاة من افواه الشيوخ طائفة عن طائفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الامام النووي في التبيان في آداب حملة القرآن ان النصيحة
لكتاب الله تعالى أي الواردة في حديث الدين النصيحة تلخ هي الإيمان بأنه
كلام الله تعالى وأنه منزل من عنده لا يشبهه شيء من كلام الخلق ومعظمه
وآلوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه والذب عنه من
تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع احكامه وتقهم
علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكير في عجائبه والعمل بحكمه
والنسليم لمشابهه اه وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن كما أنزل
ويرتله كما أمر وكان من دابه اذا تكلم بكلام متصل مبين يعمده العاد

قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد
سردكم هذا بل كان يحدث حديثاً لوعده العاد لا حصاه وكان يعيد الكلمة
ثلاثاً لتفهم عنه ونهى صلى الله عليه وسلم عن الهزيمة بالقرآن وهي
الاسراع بقراءته وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لنهيك ابن سنان
حين قال له اني لاقرأ المفصل في ركعة (هذرا كهدر الشعر) يريد
النهي عن شدة الاسراع والافراط في العجلة والحث على الترتيل والتدبر
كما في شرح النووي على مسلم وقد اجمعوا على ان النقص في كيفية القرآن
وهيئته كالنقص في ذاته ومادته فترك المد والغنة والتفخيم والترقيق
كثر كحروفه وكلماته ومن هنا وحسب تجويد القرآن كما قال الامام
ابن الجزري

والاخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لانه به الاله أنزلا وهكذا منه اليانا وصلا

فالتجويد وهو اعطاء الحروف حقها وترتيبها ورد كل حرف الى
مخرجه وتلطيف النطق به على كما هيئته من غير اسراف ولا تعسف ولا
افراط ولا تكلف امر واجب في حفظ القرآن وتلاوته وتركه بدعة منكرة
فان الامة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن واقامة حدوده وأحكامه في كل
باب بما يناسبه متعبدة بتصحيح الفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة
من أئمة القرآن المتصلة بالحضرة النبوية وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد
لحناً وخطأً وقسموا اللحن الى جلي وخفي فالجلي ما يخل بالالفاظ اخلالاً
ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم كالخطأ في الاعراب والخفي
ما يخل اخلالاً يختص بمعرفة علماء القراءة وأئمة الاداء الذين تلقوه من
أفواه العلماء وضبطوه من الفاظ اهل الاداء وقد صح ان النبي صلى الله

عليه وسلم سمي قارئ القرآن بغير تجويد فاسقاً وربما دخل في وعيد قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار واجمعت الامة على وجوب التجويد من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا ولم يختلف فيه أحد منهم وقد جاء عن علي كرم الله وجهه في قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) قال الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وفي شرح منظومة الامام السيحاوي كل حرف له ميزان يعرف به مقدار حقيقته وذلك الميزان هو مخرجه وصفته فاذا خرج من مخرجه وأعطى ماله من الصفات على وجه العدل من غير إفراط ولا تفريط فقد وزن بميزانه وهذا هو حقيقة التجويد كما قيل

زن الحرف لا تخرجه عن حدوده فوزن حروف الذكر من أفضل السبيل

قال ابن الجزري ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة اللسان

والتكرار على اللفظ المتلقي من قم المحسن كما قال في جزريته

وليس بينه وبين تركه إلا رياضة امرئ بنفسه

وقاعدته ترجع الى كيفية الوقوف والامالة والادغام وأحكام الهمز

والترقيق والتفميم ومخارج الحروف

(١٧) (تعلم القرآن في الصدر الاول)

وأهل الصدر ما كانوا يقرءون القرآن ولا يعلمونه الاطفال الامر تلا

موجوداً حتى لا يخرج الصبي من المكتب الا على رياضة تامة ومعرفة بتلاوة

القرآن وترتيبه لا ينقصه الا معرفة الاحكام والاصطلاحات الفنية التي يسمونها

الآن علم التجويد بل كانوا يعلمون أولاً ثم بالمكتب غريب القرآن وشيئاً من

أخلاقه وما جاء متضمنا لذلك من أثمار العرب وجملة من عقائد الدين وأحكام الفقه الواردة في القرآن وشيئا من أحاديث الاخلاق النبوية وتعليم الانبياء والرسل ومن اقتفى أثرهم من صالح الامة حتى يتخرج التلميذ من المكتب حافظا للقرآن الكريم مجودا له عالما بجملة صالحة من اللغة والحديث والشعر وعقائد التوحيد والفقه بحيث لو اقتصر على هذا القدر لكفاه في أمر دينه ودنياه هكذا كان شأن كثير من السلف الصالح في تعليم أولادهم كتاب الله تعالى ولو سلكنا طريقهم واهتد بنا بهم في تعليم أولادنا لما وصلنا بهم الى هذا الشر المستطير

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف
ومعلمو القرآن اليوم يعملون للتجويد دورا يلي دور تعليم القرآن وتحفيظه ويتسامحون مع الاطفال في دور التحفظ حتى يتعودوا النطق بالقرآن محرفا ناقصا غير مرتل ولا مجود فتجمد مقاطعهم على هذا اللحن وتتعسر رياضتهم بعد ولا يخلوا فمليهم هذا من الائم

(١٨) (أول من جمع الاولاد بالمكتب سيدنا عمر رضي الله عنه)

وقد رغب الشارع في تعليم أولاد المسلمين كتاب الله تعالى ورتب عليه الخير العميم فقد ورد أن تعليم القرآن يطفى غضب الرب أي عن الاولاد وعن آباءهم وعن كل من تسبب في تعليمهم وأول من جمع الاولاد في المكتب عمر بن الخطاب وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ويلغز الفهم من غير كتب وسأله رضي الله عنه تخفيف التعليم فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح الى الضحي العالى ومن صلاة الظهر

الى صلاة العصر ويستتر يحون بقية النهار ولما خرج رضى الله عنه الى الشام عام فتحها ومكث شهرا ثم رجع الى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ورجوعهم فشرع لهم الا سراحة في اليومين المذكورين فصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة انظر الفواكه الدواني على رسالة ابن زيد القيرواني

(١٩) (بدعة الجمع في القراءات)

وكذلك أهل الصدر الاول ما كانوا يعرفون طريقة الجمع الذي عليه الناس اليوم بل كانوا يأخذون بأفراد القراءات دون جمعها وفي الاتقان للجلال السيوطي الذي كان عليه السلف أخذ كل ختمه برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى انتهاء السلسلة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمه لواحدة واستقر عليه العمل ولم يكونوا يسمحون به الا لمن أفرد القراءات وأتقن طرقها وقرأ الكل قارى ختمه على حدة بل اذا كان للشيخ راويان قرأوا الكل راو بختمه ثم يجمعون له وهكذا وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارى من السبعة بختمه سوى نافع وحمة فانهم كانوا يأخذون ختمه لقالون ثم ختمه لورش ثم ختمه لخلف ثم ختمه لخلاص ولا يسمح أحد بالجمع الا بعد ذلك نعم اذا رأوا شخصا أفرد وجمع على شيخ معتبر وأجيز وأهل وأراد أن يجمع القراءات في ختمه لا يكفونه الا افراد لوصوله الى حد المعرفة والاتقان اه وقوله ثم يجمعون له وهكذا أى فيقرأون للشيخ الواحد اذا كان له راويان ثلاث ختمات ختمتين لكل راو وختمه للشيخ بجمع الروايتين وهكذا الى آخر الأئمة السبعة ثم يجمعون واشتهر ان القراءه تسمى للشيخ

الاثمة كنافع وحزمة وعاصم والكسائي وابن عمرو وابن عامر وابن كثير
 والرواية لمن روى عنهم كقالون وورش لنافع وخلف وخلاد لحزمة
 والطريفة لمن روى عن روايتهم وقوله وتساهل قوم الخ . أى فيقرأون
 خمس خبات للاثمة الخمسة وست خبات لنافع وحزمة أو أربعة بخذف
 قراءة الجمع بين الروايتين والاكتفاء بجمع القراءات السبع وقوله أن
 يجمع القراءات الخ أى يعيد جمعها على شيخه الاول أو على شيخ آخر
 فيكتفى بالافراد في الحزمة الاولى ولا يكلف في الاعادة بأفراد آخر
 لوصوله الى حد المعرفة والاتقان وظاهره ان ذلك كله حال التعلم والتلقى
 عن الشيوخ لا حال التلاوة في المحافل أو غيرها فان ذلك لم يكن لا في
 الصدر الاول ولا اثناء القرن الخامس ولا يصح قياس التلاوة على التعليم
 لان المتعلم بين يدي أستاذه فجمعه مأمون من الغلط والتلبيس والتلاوة
 ليست كذلك ومقام التعليم يفتقر فيه مالا يفتقر في غيره ألا ترى انهم
 يجوزوا اطلاق اسماء وصفات في مقام التعليم لا يجوز اطلاقها في غيره
 على أن جمع المتأخرين حال التلقي على الوجه المذكور لا يسوغ الجمع الذى
 عليه الناس اليوم لا حال التلقي ولا حال التلاوة لانهم يسبق لهم حال الاخذ
 عن الشيوخ افراد القراءة ولا اتقان طرقها على الوجه الذى استقر عليه
 العمل اثناء القرن الخامس حتى يسوغ لهم الجمع المذكور بل الواحد منهم
 حال التلقي يفرد القراءة في جزء يسير من القرآن كسورة الفاتحة والبقرة
 أو أقل من ذلك ثم يتلقى بقية الحزمة بالجمع قصر المسافة التعاميم ولا شك
 ان ذلك لا يؤمن معه الغلط والتخليط ولا يصل به القارئ الى حد المعرفة
 والاتقان وبالجمله فالجمع في التلاوة بدعة غير معروفة لا عند السلف ولا
 عند الخلف كما ان الجمع الذى عليه الناس اليوم حال التلقي غير كاف في

ضبط القراءات على وجه يصل به القارىء الى الحد الذى يأمن معه من الغلط والتخليط وان كفى اذوى العناية والضبط لا يكفى اغيهم وهم أكثر حملة القرآن اليوم واذا قيل ان الهمم قد قصرت عن تلقى القراءات على هذا الوجه ونحملها فرض كفاية قلنا ليس بل لازم في القيام به أن يتحمل كل واحد مجموع القراءات بل يصح أن يقوم البعض بتحمل رواية أو روايتين و بعض آخر كذلك فان أكثر أهل مصر اشتهروا بقراءة حفص وأهل المغرب بترعاء ورش ومجموعهما كاف في تحمل فرض الكفاية في هاتين الروايتين وبالجملة فبدعة الجمع مطلقا لا تخلو من غضاظته خصوصا اذا لوحظ ان كيفية الافراد كترتبت الكلمات والسور والآيات سنة متبعة

(٢٠) (التلقى عن الشيوخ)

وقد جرت السنة في الاخذ عن الشيوخ كما ذكره في المصاييح ان يقرأ الاستاذ ويسمع التلميذ ثم يقرأ التلميذ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب رضى الله عنه ان الله أمرنى أن أقرأ القرآن عليك وروى عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل أخرجه ابن خزيمة في صحيحه والحكمة في أمره صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبى تعليمه وارشاده الى الفاظه وصفة أدائه ومواضع الوقوف وصيغ النغم فان نغم القرآن ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره ولكل ضرب من النغم اثر مخصوص في النفوس فكانت القراءة عليه ليعلمه لا ليتعلم منه وفي الحديث اقرأوا القرآن بلحون العرب واياكم ولحون أهل الكتابين وقيل

قرأ عليه ليبين عرض القرآن علي حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه
وليبيين قدر التواضع في اخذ الانسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من
أهلها وان كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمكرمة والشهرة ولينبه
الناس على فضيلة أبي في ذلك ويحثهم على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك
وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا وامامة صوداً في ذلك
مشهوراً وهو أول قراء الصحابة وأشدهم استعداداً لتلقف القرآن منه
صلى الله عليه وسلم كتلفه عليه الصلاة والسلام من أمين الوحي فلذا خص
بهذه المنحة .

(٢١) (أركان القراءة)

وفي كتاب النشر للإمام ابن الجزرى كما نقله صاحب الاتقان ان
القراءة التي تعد قراءة هي ما وافقت الرتبة ولو بوجه ووافقت أحد
المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي
لا يجوز ردها ولا يحل أنسكارها بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها
القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الائمة السبعة أو عن
العشرة أو عن غيرهم من الائمة المقبولين وهي أختل ركن من هذه الاركان
الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو
عن أكثر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف
وخالف صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة وهو مذهب
السلف الذي لا يعرف عن احد منهم خلافه قال أبو شامة في المرشد الوجيز
لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة ويضاق عليها لفظ
الصحة وأنها أنزلت هكذا الا اذا دخلت في ذلك الضابط وحيث لا ينفرد
بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنه بل ان نقلت عن غيرهم

من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فان الاعتماد على استجماع تلك
الاصناف لا على من تنسب اليه فان القراءة المنسوبة الى كل قارى من
السبعة وغيرهم منتمسمة الى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم
وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم
فوق ما ينقل عن غيرهم اه ثم قال ابن الجزرى فقولنا في الضابط ولو
بوجه نريد به وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً
مجمماً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله اذا كانت القراءة مما
شاع وذاع وتلقاه الائمة بالاسناد الصحيح اذ هو الاصل الاعظم والركن
الاقوم وكمن من قراءة انكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم
يعتبر انكارهم كاسكان بارئكم وبأمركم وخفض الراحم والفصل
بين المضافين في مثل قتل أولادهم شركائهم فاذا ثبتت الرواية لم يردّها
قياس عربية ولا فشو لغة لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير
اليها قال ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض
كقراءة ابن عامر قالوا اتخذ الله ولدآ في البقرة من غير واو وبالزبر
وبالكتاب المنير بزيادة الباء في الاسمين فان ذلك ثابت في المصحف الشامي
فان لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذا لمخالفته الرسم المجمع عليه
وقولنا ولو احتمالاً نعني به ما وافقه ولو تقديرأ كمالك يوم الدين فانه كتب
في الجميع بلا الف فقراءته بالالف توافقه تقديرأ لحذفها في الخط
اختصاراً وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً نحو تاملون بالتاء
والياء ويغفر لكم بالياء والنون ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقطة
والشكل في حذفه وأثبتانه على فضل عظم الصحابة رضى الله عنهم في علم
الهيء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم وانظر كيف كتبوا الصراط
بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الاصل لتكون قراءة

السين وان خالفت الرسم من وجه قد أتت على الاصل فيعتدلان وتكون قراءة محتملة ولو كتب ذلك بالسين على الاصل لغات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والاصل ولذلك اختلفت في بسطة الاعراف دون بسطة الهرة لكون حرف البقرة كتب بالسين والاعراف بالصاد على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا اذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة كقراءة السوسى في نحو يغفر لكم بأبدال الراء لاما وأدغامها في اللام مع أن الرسم في المصاحف الثمانية كلها بالراء ولذا لم يعدوا أثبات ياءت الزوائد وحذف ياء تسألنى في السكف وواو واكون من الصالحين ونحوه من مخالفة الرسم المردودة فإن الخلاف في ذلك مغنر

اذ هو قريب يرجع الى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها قال وقولنا وصح أسنادها نعمى به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذبه بعضهم قال وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف بصحة السند وزعم أن القراءة لا تثبت الا بالتواتر وان ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن قال وهذا مما لا يخفى ما فيه فإن التواتر اذا ثبت لا يحتاج فيه الى الركنين الآخرين من الرسم وغيره اذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم لا واذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف أنتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة وقال الجمهورى الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخرا فان أحكم معرفة

حال النقلة وأمعن في العربية وأنقن الرسم أنحلت له هذه الشبهة وعرف أن المعول عليه صحة الاسناد والشهرة يعني وعند ذلك لا بد أن يوافق الرسم والعربية بالمعنى الذي قرره بن الجزرى وغيره

(٢٢) أنواع القراءات أربعة

والحاصل أن أنواع القراءات أربعة (الاول) المتواتر - وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم الى منتهاه وغالب القراءات كذلك (الثاني) المشهور - وهو ما صح سندده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ وقرأ به على ما ذكره ابن الجزرى وابن شامة (الثالث) الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ولم يشتهر الاشتهار المذكور وهذا لا يقرأ به كرواية متكئين على روافد خضر وعباقري حسان (الرابع) الشاذ - وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضي ونصب يوم انظر الاتقان ولعل المراد بالنوع الثاني المشهور بالمعنى الذي ذكره أنه في رتبة المتواتر المفيد للقطع فإن القرآنية لا تثبت على الصحيح الا بقاطع

(٢٣) (اختلاف في ثبوت القرآنية بخبر الآحاد المحتف بالقرائن)

وذهب بعض فقهاء الشافعية وغيرهم الى ثبوت القرآنية بخبر الواحد اذا احتف بالقرائن الموجبة للقطع وجعلوا ذلك في حكم المتواتر ومنه البسالة في أوائل السور وبعضهم خصه بها فقد قال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل الذي يظهر أن اثباتها قرآناً لا يكون الا بقاطع كغيرها ويجوز كونه خبر الآحاد الذي احتفت به القرائن وهو اجماعهم على كتابتها في المصاحف

كلها بقلم القرآن وعدم تكفيرنا فيها لكون القطع ناشئا عن ثبوت الخبر
المخوف بالقرائن وهذا لم يحصل للنافي اه وقال ابن الحاجب وغيره أن
الشبهة الحاصلة من دليل كل طائفة قوية عند الاخرى ومثل ذلك يمنع
التكفير والحاصل أن القرآنية الحقيقية لا تثبت بخبر الواحد الا اذا احتفت
بالقرائن الموجبة للقطع وهل هذا الطريق خاص بالبسملة أو يعم غيرها
من أحرف القرآن وقد توفر في البسملة عدة قرائن لا يوجد مجموعها في
غيرها مما نقل أحادا منها تواتر نقلها تلاوة وفصلا بين السور وان لم يكن
على الجزم بأنها قرآن أو غير قرآن ومنها الاجماع على أن ما بين دفتي المصحف
كلام الله تعالى والبسملة بين دفتيه بخط السور ومنها أن الآحاد كما دلت
على قرآنتها دلت على اثبات أحكام القرآن لها كما صح أنه عليه الصلاة
والسلام أمر بقراءة الفاتحة في الصلاة وعدّها سبع آيات وعد بسم الله
الرحمن الرحيم آية منها بخلاف ما نقل أحادا من غيرها فانه وان دلت الآحاد
على قرآنتها لم تدل على ثبوت أحكام القرآن له بمعنى أنها لم تعرض لذلك
وبعضهم أثبت قرآنية البسملة بتواتر كتابتها بخط المصحف اذ لا يكتب
كذلك الا ما كان قرآنا وبالاجماع على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله
تعالى وهذا قريب مما قبله فنما اعتبر قرينة خبر الآحاد على الاول اعتبر
دليلا عند هذا القائل وكلاهما بمثابة التواتر الصريح في افادة القطع وانظر
هل ذلك يستلزم الشهرة فيكون من النوع الثاني المتقدم أولا يستلزمها فلا
تكون شرطا في اثبات القرآنية التي يجوز القراءة بها وذهب جمهور
الشافعية كما نقله صاحب الآيات الى أن البسملة قرآن حكما لا قطعاً ورجحه
النووي في شرح التهذيب ومعنى كون قرآنتها حكما كما قاله الماوردي انه
لا تصح الصلاة الا بها أول الفاتحة وفي كتاب الانتصار للقاضي أبي بكر
مانصه وقال قوم من الفقهاء والمتكلمين يجوز اثبات قرآن وقراءة حكما

لاعلمها بخبر الواحد دون الاستفاضة وكره أهل الحق ذلك وامتنعوا منه أى
لان خبر الواحد لا يفيد الا الظن والقرآن لا يكون الا مقطوعا به ولذلك
شرط بعضهم فيه أن يكون مخفوقا بالقرائن الموجبة للقطع وقد توفر ذلك
في البسملة كما تقدم ومذهب المالكية والمتقدمين من الحنفية كما حكاها عنهم
صاحب الآيات يخص ثبوت القراءة بطريق التواتر نظرا الى أن هذا
الطريق هو الطريق العام للقرآن المعجز الذى تتوفر الدواعى على نقله
تواترا والبسملة فى أوائل السور لم يتواتر نقلها على أنها قرآن وان تواتر
نقلها تلاوة وفصلا بين السور وكتابة بخطها فان ذلك لا يثبت القراءة فيما
تتوفر الدواعى على نقله تواترا وبهذا الطريق قطعنا بان غيرها مما لم يذكر
فى القرآن ليس منه والبسملة فى أوائل السور انما نزلت للفصل كما روى
ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف
فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فعلى بين السور من
كلام الله تعالى ولكنها ليست من القرآن ولسكنها من كلامه تعالى كان
تواتر كتابتها بخط المصحف والاجماع على أن ما بين دفتيه من كلام الله تعالى
لا يثبت قراءتها عند المالكية والحاصل أن المذاهب فى البسملة أربعة
قيل أنها من القرآن آية من كل سورة ما عدا براءة وهو مذهب الشافعية
واستدلوا على قراءتها بتواتر نقلها كتابة بخط السور وبالإجماع المار وعلى
كونها جزءا من الفاتحة بالحديث وعلى أنها جزء من غيرها بالقياس وقيل
أنها آية من الفاتحة دون غيرها وهو مذهب الحنابلة وقيل أنها آية مستقلة
ليست جزءا من الفاتحة ولا من غيرها وهو مذهب المتأخرين من الحنفية
وقيل أنها ليست من القرآن أصلا لامستقلة ولا جزءا وهو المشهور من
مذهب مالك ومتمم الحنفية وأدلة كل مبسوطة فى محلها

(٢٤) (تواتر القراءات)

والحق أن القرآن بجميع حروفه السبعة وقراءاته المعروفة للقراء السبعة
أبى عمرو ونافع وابن كثير وعاصم وهمة والكسائي متواترة كما
ذكره عمدة القراء والمحدثين الشمس ابن الجزرى واختلف في تواتر ما وراء
السبعة من قراءة يعقوب وأبى جعفر وخلف والصحيح أنها متواترة يجوز
القراءة بها وفيل أنها غير متواترة بل هي شاذة لا يجوز القراءة بها وأنكره
أئمة القراء أشد انكار حتى قال الشيخ أبو حيان لا نعلم أحدا من المسلمين
حظر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع كما ذكره السكال وغيره
وفي الاتفاق للسيوطى القرآن والقراءات حقيقةتان متغايرتان فالقرآن
هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراءات اختلاف
الفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها
والمراد بتغاير الحقيقتين تغاير مفهوم الفرد ومفهوم الحقيقة الكلية التي
لا توجد الا في ضمنه فان القرآن لا يتحقق الا في رواياته المشهورة التي
نزل عليها في أحرفه السبعة

المقالة الثالثة

(٢٥) (في جمع القرآن وكتابته بالخط العثماني)

كان صلى الله عليه وسلم له حالة خاصة في تلقي الوحي القرآني والاهتمام
بشأنه تبليغا وتبيينا وحفظا وتخفيضا وكتابة فكان نزل عليه جملة من
القرآن اهتم بشأنها وسارع الى حفظها والتثبت منها وتبليغ قرآنيته وأمر
بكتابتها ورغب في حفظها وبين ما يحتاج الى البيان منها فقد أخرج
البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفثيه مخافة أن

يتلفت منه يريد أن يحفظه فانزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك) اى عند
 القاء الوحي من قبل أن يقضى اليك وحيه (لتعجل به أن علينا جمعه) فى
 صدورك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرأ نه) اى اثبات
 قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) اى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل
 عليه السلام (فاتبع) بذهنك وفكرك (قرأ نه) اى فاستمع وأنصت
 (ان علينا بيانه) فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا
 أتاه جبريل أطرق واستمع فاذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل

(٢٦) (دراسة القرآن وكتابته فى عهده عليه السلام)

وقد عفى صلى الله عليه وسلم بدراسة القرآن وأمر بكتابته ونهى عن
 كتابته السنة فى بدى الامر ميزة له وزيادة فى التثبيت والحفظ وخشية
 من الالتباس والضياع وعناية بالنظم المتعبد بتلاوته وأخرج ابن أبى حاتم
 من طريق عقيل عن الزهرى سئل عن الوحي فقال الوحي ما يوحى الله الى
 نبي من الانبياء فيثبتته فى قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا
 يتكلم به ولا يكتبه لاحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا
 ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه وأخرج مسلم من
 حديث أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكتبوا عني
 شيئا غير القرآن فكان الصحابة رضي الله عنهم يكتبون ما يسمعون من فم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى الصحف والرقاع مخافة النسيان
 والضياع وقال الحارث المحاسبى كتابته القرآن ليست بمحدثه فانه صلى الله
 عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكن كان مفرقا فى الرقاع والاكتاف
 والعصب وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا وكان
 ذلك بمنزله أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

القرآن منتشر فجمعها جامع و ربطها بخيط حتي لا يضيع منها شيء وكان النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة في رمضان يمرض مامعه من القرآن على جبريل عليه السلام وكلما زاده حرفا من الاحرف السبعة أو نسخ منه شيئا يادر الى حفظ ذلك والعمل بمقتضاه والامر بكتابته قال الخطابي وانما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته صلى الله عليه وسلم ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة وكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر رضي الله عنه

(٢٧) كتابة القرآن توقيفية

فالقرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور كما في الاتقان وغيره وكان صلى الله عليه وسلم هو الذي يملئ زيد بن ثابت من تلقين جبريل عليه السلام كما يشهد بذلك اطباق القراء على قوله واخشوني في البقرة باثبات الباء وفي المائدة بحذفها في الموضعين ونظائر ذلك كثيرة مما يدل على أن هجاء القرآن وكتابته بالتوقيف وأنه ليس من الرسم الموضوع ويشهد لذلك أيضا ما ذكره العلامة الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب الذهب الابرز عن شيخه العارف بالله سيدى الشيخ عبد العزيز الدباغ أنه قال رسم القرآن العزيز سر من أسرار المشاهدة وكال الرفعة قال سيدى أحمد فقلت له هل رسم الواو بدل الالف في نحو الصلاة والزكاة والربو والحياة ومشكوه وزيادة الواو في سائر يكم وأوائك وأولائي والياء في هدايمهم وملائنه وبأيكم وبأيسد هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوا من

النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ان جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا انما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية فقال مالمصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وانما هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئته المعروفة بزيادة الالف ونقصانها لاسرار لا تهتدى اليها العقول وهو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية فلا يوجد شيء من هذا الرسم لافي التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في غيرها من الكتب السماوية فكما أن نظم المرآة معجز فرسمه معجز ايضا وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الالف في مائه دون فئه والى سر زيادة الياء في بأبيد وبأبيكم أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف في سعوها بالجمع ونقصانها من سعوها بسببا والى سر زيادتها في عتوا حبت كان ونقصانها من عتوا بالفرقان والى سر زيادتها في يعفوا الذي ونقصانها من يعفونهم بالنساء والى سر زيادتها في آمنوا وأسقاطها من باء واوجاء واوتبوا وفاء وبالبقرة أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الالف من قرأنا بيوسف والزخرف واثباتها في سائر المواضع واثبات الألف بعد واو سموات في فصلت وحذفها من غيرها واثبات الألف في الميعاد وحذفها من موضع الا فقال واثبات الألف في سراجاً حيث وقع وحذفها من موضع الفرقان وكيف تتوصل الى فتح بعض التاءات ووربطها في بعض فكل ذلك لا أسرار ألهييه واغراض نبويه وانما خفيت على الناس لانها أسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الرباني فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور فان لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة وأكثرا الناس لا يهتمون إلى أسرارها ولا يدركون شيئاً من المعاني الالهية التي اشير اليها فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرقاً بحرف اهو هذا هو الذي ينبغي التعويل عليه في

(٢٨) (أمية النبي صلى الله عليه وسلم)

ولا ينافيه ما قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يتعلم الكتابة لأن
الأُملاء بالتلقين على هذا النحو لا يستلزم تعلم الكتابة بالمعنى الذى نفى عنه
صلى الله عليه وسلم فإن الأول إحياء وإعلام محض بهجاء الكتابة
ورقوما بدون تعلم وكسب والثانى تعلم كسبى وعمل يدوى كما يتعلم أحدنا
مبادئ الكتابة ثم يقرأ ويكتب وإن لم يتعلم صلى الله عليه وسلم الكتابة
أو يكتب لئلا يظن أنه مصنف القرآن فيرتاب في أمره كما قال تعالى (وما كنت
تتلمز من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون) قال الكتابة
لم تقع منه صلى الله عليه وسلم لأن وحى ولا تعلم ولا عن غريزة ينشأ عنها
نظم الكتابة كما ينشأ الشعر عن سليقة العربى والصحيح أن هذا كان في بدء
الاسلام أول نزول القرآن وأما بعد التحدى به وعجز فصحاء العرب عن
الأتیان بمثله فقد قيل إنه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب بيده الشريفة فقد
أخرج أبو الشيخ من طريق مجاهد قال حدثني عون بن عبد الله بن عتبة عن
أبيه قال مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب فذكرت هذا
الحديث للشعبي فقال صدق سمعت أصحابنا يقولون ذلك وكتبته صلى الله
عليه وسلم لأن تعلم تعد معجزة له كما أن الأمية التى وصف بها فى القرآن
تعد من من شئائه وأن كانت قصصاً فى حق غيره ففى الألوسى ووصف عليه
الصلوة والسلام بالأمى فى قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمى)
ونحوه تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم
فهو بالنسبة إليه صفة مدح وأما بالنسبة إلى غيره فلا وذلك كصفة التكبر
فإنها صفة مدح لله عز وجل وصفة ذم لغيره اهـ

وقوله صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب إخبار عن
البدء بالنسبة له صلى الله عليه وسلم وأن حصول الكتابة منه على هذا الوجه
لا ينافي الأمية لأن الأيحاء والتلقين من الله تعالى لا يرفع وصف الأمية التي
يقابلها الكسب والتعليم وأما بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم فباعتبار
الغالب فإن منهم كتابا كانوا في غاية الخدق بصناعة الكتابة والهجاء

(٢٩) (كتابه عليه السلام)

فقد نقل صاحب السيرة الحلبية عن بعضهم أن كتابه صلى الله عليه وسلم
للقرآن وغيره من الرسائل كانوا ستة وعشرون كتاباً على ما ثبت عن جماعة من
ثقات العلماء وفي السيرة العراقية أنهم كانوا اثنين واربعين منهم عبد الله
ابن سعد العامري وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قریش
بمكة ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ودعا الله تعالى أن يختم عمره بالصلاة
فمات ساجداً في صلاة الصبح ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعامر بن فهيرة رضي الله عنهم
وعبد الله بن الأرقم كان يكتب له الرسائل للملوك وغيرهم وأبي بن كعب
وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الانتصار بالمدينة وثابت بن
قيس بن الشماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد قال
بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما ملازمين
للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره ولا عمل
لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أمرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن أعلم المريانيين قال أتى لآمن يهود على كتابي فما مرني نصف
شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم وأقرأ
له كتبهم ومنهم المغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد وعمر و

ابن العاص وعبد الله بن رواحه ومحمد بن مسلمه وعبد الله بن عبد الله بن أبي
 بن سلول وذكرك القاضي محمد بن سلامه القضاعي أن عثمان بن عفان وعلى بن أبي
 طالب رضى الله عنهما كانا يكتبان الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يحضر احد من هؤلاء
 الاربعه كتب من حضر من الكتاب وهم معاويه بن ابي سفيان وخاله
 ابن الوليد وسعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظل بن
 الربيع وعبد الله بن مسعود بن أبي سرح وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة
 اسكتابته الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من كتب
 القرآن بيده في خلافة أبي بكر

(٣٠) (حفظة القرآن في عهده عليه السلام)

أما الذين حفظوا القرآن في عهده عليه السلام من الصحابة مهاجرين
 وأنصاراً فكثير جداً فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطليحة
 وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر
 وابن عباس وعمر بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله
 ابن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة ومن الانصار أبي بن كعب
 ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وجموع بن حارثة وأنس بن مالك
 وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال أحد عمومي وقد جاء في صفة الصحابة
 رضى الله عنهم صدورهم أنا جيلهم لا يحتاجون في حفظ العلم الى صحيفة أو
 كتاب وقد بذلوا أنفسهم في حفظ القرآن واتقائه فتلقوه من النبي صلى الله
 عليه وسلم حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا اثباتاً ولا حذفاً ولا
 دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله ومنهم من
 حفظ أكثره ومنهم من حفظ بمضمه كل ذلك في زمن النبي صلى الله عليه

وسلم كما أن كتابته بجميع أحرفه كان في عهده صلى الله عليه وسلم وأن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد فقد قال صاحب غنية الطالبين إن القرآن لم يجتمع في عهد النبي ﷺ في مصحف واحد وإنما كانت الصحابة رضي الله عنهم قبل أن يكتبوا الورق يكتبون ما نزل من القرآن على العصب والأكتاف والأدم والخاف والعصب هي العريض من جريد النخل والخاف الأحجار العريضة البيضاء والأكتاف العظام المنبسطة كاللوح والأدم قطع الجلود ولعل هذه الأشياء هي التي أطلق عليها اسم المصحف في قولهم مخلف طه سبحانه ومصحف وكان دأب الصحابة رضي الله عنهم في حياته صلى الله عليه وسلم المبادرة إلى حفظ القرآن وضبط روايته وتتبع وجود قراءاته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرضه على جبريل عليه السلام في كل عام في رمضان مرة وفي العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين وكان زيد بن ثابت قد شهد العرضة الأخيرة وهي حكمة على المتقدمات وهي التي كان يقرأ الناس بها حتى مات رضي الله عنه ولذلك اعتمده الصديق رضي الله عنه في جمع القرآن على ما سيأتي بيانه أه وهذا ظاهر في أن العرضة الأخيرة كانت بالأحرف السبعة وأن الناس كانوا يقرءون بها في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعمر إلى أن وقع الاختلاف في عهد عثمان رضي الله عنه فأمر بكتابة المصحف مجرداً عن تلك الوجوه إلى وجه واحد وقصر الناس على ثلثه بحرف واحد وسيأتي الخلاف في ذلك

(٣١) (جمع القرآن)

وقال الحاكم في المستدرک جمع القرآن ثلاث مرات أحداها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسند علي شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلف القرآن من

الرقاع الحديث قال البيهقي يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات
المفرقة في سورها وجمعها فيها بأشارة النبي صلى الله عليه وسلم والرقاع جمع
رقعة وقد تكون من جلد أو ورق وهل هذا الجمع كان بعد العرضة الأخيرة
أو كان قبلها واستمر إلى تمام القرآن وعلى كل حال فهو مجرد تأليف وجمع لآي
القرآن المفرقة في سورها وليس فيه نسخ جديد وإنما جمعوا نفس المكتوب
الذي كان عليه الصلاة والسلام يأمر بكتابته عند نزوله في الرقاع والعسب
ونحوها فجعلوا آيات كل سورة في سورها مرتبة بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم
كما كانوا يقرءونه بينهم حسبما تلقوه منه صلى الله عليه وسلم كذلك

(٣٢) (ترتيب الآيات توقيفي)

قال في الاتقان الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي
لا شبهة فيه أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر
ابن الزبير في مناسباته وعبارته ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه
صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين فقد أخرج
ابن أبي داود عن أبي أنس جمعا للقرآن فلما انتهوا إلى الآية التي في
سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ظنوا أن
هذا آخر ما نزل فقال أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعد
هذا آيتين لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة وتقدم حديث زيد بن ثابت
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع وأخرج البخاري
عن ابن الزبير قال قلت لعثمان والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا قد
نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها قال يا ابن أخي لا أغير شيئا
منه من مكانه وقال مكي وغيره ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي
صلى الله عليه وسلم وقال القاضي أبو بكر في الانتصار ترتيب الآيات أمر

واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضموا آية كذا في موضع كذا وقال ايضا الذي نذهب اليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بآيات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه وإن ترتيبه ونظمه ثابت علي ما نقله الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا آخر منه مقدم وأن الامة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة

(٣٣) (اختلاف في ان ترتيب السور توقيفى)

وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره ويمكن أن يكون قد وكل ذلك الى الامة بعده ولم يقول ذلك بنفسه قال وهذا الثانى أقرب واليه ذهب جماعة من العلماء قال ابن فارس جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتدبى السبع الطوال وتمقيها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور فهو توقيفى تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر به وهما استدلل به لذلك اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف على كان أوله اقرأ ثم المائدة ثم ن وهكذا الى آخر المكي والمدنى وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد وكذا مصحف أبى وغيره وفيه أن هذه لم تكن مصاحف تلاوة بل مصاحف علم وتأويل قصد بها ضبط حالة خاصة وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضموا آية كذا فى موضع كذا وقد

حصل التعقيب من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال الزركشى في البرهان والخلاف بين الفريقين لفظي لان
 القائل بالثاني يقول انه رمز اليهم ذلك لمامهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته
 ولهذا قال مالك انما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله
 عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف الى انه
 هل هو بتوقيف قولى أو بمجرد اسناد فىلى بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر
 وسبقه الى ذلك ابو جعفر ابن الزبير وفى الالوسى وأما ترتيب السور فىلى
 كونه اجتهاديا او توقيفيا خلافاً والجمهور على الثانى قال ابو بكر الابرار
 انزل الله تعالى القرآن كله الى سماء الدنيا ثم فرقه فى بضع وعشرين فكانت
 السورة تنزل لامر يحدث والآية جوابا لمستخبر فيوقف جبريل النبي
 صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة فن قدم او أخر فقد أفسد
 نظم القرآن وذهب البيهقى الى ان جمع السور وترتيبها توقيفى لبراءة والاتقال
 وله انشرح صدر الامام السيوطى لما ضاق ذرعاً عن الجواب والذي
 ينشرح له صدر الفقير هو ما انشرفت له صدور الحزم الغفير من ان ما بين اللوحين
 الآن موافق لما فى اللوح من القرآن وحاشا ان يهمل صلى الله عليه وسلم
 امر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته فلا بد اما من التصريح
 بموضع الآيات والسور وامام من الرمز اليهما بذلك واجماع الصحابة فى
 المسأل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من
 الاساليب وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ولا يصددهم عن اتباع الحق لوم
 لائم ولا قول قائل أقوى دليل على انهم وجدوا ما فادهم علماً ولم يدع
 عندهم خيالاً ولا وهما انظر الالوسى والاتقان والحاصل أن هنا ثلاثة
 اعمال جمع الآيات فى السور وبه ينقسم القرآن الى مائة وأربعة عشر قصفاً
 بعدد سورة وترتيب آيات كل سورة جمعت فيها وكلها توقيفى قطعاً وترتيب

السور أى تعقيب بعضها بعضا وفى كونه توقيفيا خلاف وقد تلمت معناه وان الحق انه توقيفى وهل وقع ترتيب السور فى هذه الجمعة أو وقع فى عهد أبى بكر وهو الظاهر من كلامهم .

والظاهر ان المجموعة المؤلفة من الرقاع فى زمن النبی صلى الله عليه وسلم بعد تأليفها وترتيبها الى العرضة الاخيرة لم تشتمل على المنسوخ تلاوة كما يدل عليه ما ذكره صاحب الاتقان آخر النوع السادس عشر حيث قال قال البغوى فى شرح السنة يقال أن زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمد ابو بكر وعمر فى جمعه وولاه عثمان كتب المصاحف اه فقوله وكتبها الى آخره أى كتب العرضة الاخيرة التى استقر عليها الحال تلاوة وترك المنسوخ تلاوته وأثبت ما عدها والظاهر ان المراد بكتابتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتم كتابتها بضم ما كتب قبها الى ماتت به وليس المراد انه انشا كتابتها فى الرقاع والعسب غير ما كتب قبها وبالجملة فالعرضة الاخيرة هي الاساس المعول عليه فى التلاوة والكتابة وهى المأمور بقراءتها وتلاوتها وكتابتها من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا وان كانت فما قبل عهد عثمان رضى الله عنه متلوة مكتوبة بحروفها السبعة كما نزل القرآن عليها وفى عهده حمل الناس باجماع الصحابة على تلاوتها وكتابتها بوجه واحد كما سيأتى بيانه .

(٣٤) ﴿ الجمعة الثانية ﴾

وكانت الجمعة الثانية بحضرة أبى بكر رضى الله عنه روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال ارسل الى أبى بكر مقتل اهل النجاة فاذا عمر بن الخطاب

عنده فقال أبو بكر ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم النمامة بقراء القرآن واني أخشى أن يستحجر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن واني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر انك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح الله صدر أبي بكر وعمر فتبعت القرآن أجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجد هامع غيره لقد جاءكم رسول الآية أى لم يجد صحيفتها والا فهي محفوظة في الصدور مقروءة باللسن ولما جمعه رضي الله عنه من الرقاع والعسب المتفرقة في صحف من ورق وكان لا يثبت شيئا فيها الا بشاهدين كما سيأتى وضعت تلك الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه وبقيت تحت يده حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بوصية من عمر رضي الله عنه واستمرت تحت يدها حتى طلبت منها في عهد عثمان رضي الله عنه كما سيأتى وانما اكتفى في آية التوبة بشهادة رجلين وذكر بعضهم انه لما ولي الخلافة أبو بكر جعل شهادته بشهادة رجلين وذكر بعضهم انه لما ولي الخلافة أبو بكر رضي الله عنه وكان قد ارتد كثير من العرب بعد موته صلى الله عليه وسلم جهز جبوشا لقتالهم ومن جملتهم جيش لقتال مسيلمة الكذاب ومن معه من المرتدين وأمر عليه خالد بن الوليد الخزومي فالتتيا وتقاتلا قتالا عظيما

انهزم فيه المسلمون واشتهد منهم ألف ومائتان منهم سبعائة حملة القرآن
ثم تأمر البراء بن مالك ورد الهزيمة على المشركين وقتل مسيلمة وعشرة
آلاف من المرتدين فلما رجعوا قال عمر بن الخطاب لابي بكر رضى الله
عنهما يا ابا بكر ان القتل قد فشا في الفراء وأخاف أن يذهب القرآن
بذهاب حملته وأشار عليه بكتابته فقال له أبو بكر أفعل شيئا لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم فجعل يتبع الرقاع والاضلاع
والعصب وصدور الرجال حتي جمعه ورتبه على سبعة أوجه لقوله صلى الله
عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافية شافية فاقرأوا كيف
شئتم وبقيت هذه الصحف التي جمها زيد عند أبي بكر الى أن توفي
فكانت عند عمر ثم عند بنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اه
وهذا يؤيد ما قدمناه من أن التلاوة والكتابة في العهد الاول كانت
بالاحرف السبعة التي نزل القرآن عليها وغايته ان الامة ليست مكلمة في
التلاوة بجميعها بل لها أن تقرأ بأيها شاءت وكلها قرآن صحيح متعبد
بتلاوته وفي كتاب نهاية القول المفيد فان قيل كان زيد حافظا للقرآن
وجامعا له فما وجه تتبعه المذكورات والجواب انه كان يستكمل وجوه
قراء آتته ممن عنده ما ليس عنده وكذا نظره في المكتوبات التي قد عرف
كتابتها وتيقن أمرها فلا بد من النظر فيها وان كان حافظا ليستظهر بذلك
وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا واذا استند الحافظ عند الكتابة
الى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت في ضبط المحفوظ وفي ارشاد القراء
والكاتبين ان زيدا كتب القرآن كله بجميع أجزائه وأوجهه المعبر عنها
بالاحرف السبعة الواردة في حديث ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف
فاقرأوا ما تيسر منه وكان أولا أنا جبريل فقال له ان الله يأمرك أن
تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ثم راجعه الى السابعة فقال ان الله

يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيا حرف قرءوا عليه أصابوا

(٣٥) (اختلافهم في المراد بالاحرف السبعة)

واختلفت أقوال العلماء في المراد بهذه الاحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً حتى أفرد بعضهم بالتأليف مع إجماعهم على أنه ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه وعلى أنه ليس المراد قراءات القراء السبعة المشهورين واختار كما صححه البيهقي أنها اللغات كما تقدم واختلفوا في تعيينها فقال أبو عبيدة قریش وهذيل وهوازن وكنانة وتميم واليمن وقيل غير ذلك والحكمة في انزال القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على الأمة في التكلم بكتابها كما خفف عليهم في شريعته كما ورد أن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه أن هون على أمتي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف ولو كلفوا جميعاً بالنطق بلغة واحدة وأسنتهم مختلفة لشق ذلك عليهم وتسرعوا لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد فكان من تيسير الله تعالى كما قال الامام أبو محمد عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت به عادتهم فالهذلي يقرأ عتي حين وغيره حتى حين والاسدي يعلمون وتعلمون وتسود وجوه وألم أعهد إليكم بكسر حرف المضارعة والتيميمي يهز والقريشي لا يهز والآخري يقرأ قيل لهم وغيض الماء باثمام الضم مع الكسر وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضم الهاء وهكذا وكل ذلك ثابت بالوحي المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن ينزل عن لفته وما جرى عليه اعتياده طفلاً ويأفعا وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولا يمكنه إلا بعد

رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فاراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتييسيره عليهم في الدين اه وهذه اللغات والقراءة بها كانت موجودة ومعمولا بها الى عهد عثمان رضي الله عنه فلما اختلطت قبائل العرب وعرف كل لغة الآخر وسهل على كل قبيلة النطق بلغة القبيلة الاخرى وحدث في عهده رضي الله عنه ما يدعو الى حمل الناس على القراءة بلغة واحدة أمر رضي الله عنه بجمع القرآن وكتابته وقراءته بخط واحد ولغة واحدة كما سيأتي وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن عبد خير قال سمعت عليا يقول أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله وقال على رضي الله عنه أول من جمع كتاب الله تعالى بالترتيب المختص والمقبول المجمع عليه عند الامة كافة أبو بكر رضي الله عنه وكان كاتبه عند جمعه زيد بن ثابت وكان لا يكتب آية الا بعد لين شاهدين وأخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال قدم عمر فقال من كان تلقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليات به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والالواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتي يشهد شاهدان وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتبني بمجرد وجد انه مكتوبا حتي يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط ولعل الكتابة في الالواح والعسب كانت نادرة والا فالمشهور أن الكتابة في جمع أبي بكر رضي الله عنه كانت في الصحف وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه ان أبا بكر قال لعمر وزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه رجاله ثقات مع انقطاعه قال ابن حجر وكان المراد بالشاهدين شاهدا الحفظ والكتابة وقال السيخاوي المراد أنهما يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى

الله عليه وسلم او المراد انهما يشهدان على ان ذلك من الوجوه التي نزل
بها القرآن قال أبو شامة وكان غرضهم أن لا يكتب ألا من عين ما كتب
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ قال ولذلك قال
في آخر سورة التوبة لم أجدها مع غيره أى لم أجدها مكتوبة مع غيره
لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة وقال السيوطي أو المراد أنهما
يشهدان على ان ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته كما
يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر ثم قال ننقل عن الحارث المحاسبي
فان قيل كيف وقعت الثقة بصحاب الرقاع وصدور الرجال قيل لانهم كانوا
يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى
الله عليه وسلم عشر بن سنة فكان تزوير ما ليس منه مأمونا وانما كان
الخوف من ذهاب شيء من صحفه وقد تقدم في حديث زيد انه جمع
القرآن من العسب واللخاف وفي رواية والرقاع وفي أخرى وقطع الاديم
وفي أخرى والاكتاف وفي أخرى والاضلاع وفي أخرى والاقتاب جمع
قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه والاقتصار
على واحد منها في بعض العبارات تغليب وما رواه أبو الضريس في فضائل
على كرم الله وجهه انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف لجمع القرآن
فمحمول كما قيل على الجمع في الصدور وقيل كان جمعا بصورة أخرى لغرض
آخر يؤيده انه قد كتب فيه النسخ والنسوخ فهو كتاب علم لا كتاب قرآن
والا فقد روى عن علي رضي الله عنه انه قال رحمة الله على أبي بكر هو
أول من جمع القرآن كما تقدم فالقرآن وان كان مكتوبا في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم مؤلف الآيات في السور لكنه غير مجموع في موضع واحد
ولا مرتب السور بل كان مفردا في العسب واللخاف والرقاع والاكتاف
والاقتاب والاضلاع مع كونه محفوظا في الصدور على ما هو عليه

الآن فكان أول من جمعه في نسخة واحدة مرتب الآيات والسور أبو بكر الصديق بمشورة عمر رضي الله عنه كما دلت عليه الاخبار الصحيحة المتراصة وسببه ما علمت من خشية ذهابه بذهاب حملته وضياع شيء من صحائفه وقد ثبت أبو بكر رضي الله عنه في جمعه فكان زيد وعمر رضي عنهما لا يقبلان من أحد شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان

(٣٦) ﴿ فوائد جمع أبي بكر رضي الله عنه ﴾

وقد تضمنت هذه الجمعة عدة فوائد منها البحث عن صف الرقاع والتثبت منها وجمعها في مكان واحد كالأصل الذي يرجع إليه حتى يسد باب الامر ورسوخ ويؤمن الضياع وانظر هل كانت الرقاع المجموع منها باقية على ترتيبها الذي وقع في عهد صلي الله عليه وسلم أو تفرقت مع حفظ ترتيبها في الصدور وتواتر التلاوة به الى وقت كتابة الصحف البكرية فما بعده فان ترتيب الآيات في السور لم يتغير حاله في الجملعات الثلاث ومنها تجديد كتابته على الهيئة الاولى في نسخة واحدة باللغة نهاية التحرير جامعة للاحرف السبعة التي نزل بها القرآن بحيث تكون أصلاً آخر يعول عليه في الثبوت والبقاء ويرجع اليه عند الحاجة وانظر هل كانت السور في هذه الجمعة متصلة متعاقبة في أوراقها كآيات في سورها أو ان كل سورة نسخت على حدة مترتبة الآيات في صحف تخصها وقد يدل له التعبير بالصحف فرقا بينها وبين المصاحف فالصحف سور مفارقة والمصاحف سور مجموعة مترتبة وعلى ذلك فترتيبها كترتيب الرقاع وكتابتها ككتابتها ولم يحدث في هذه الجمعة الا نسخها في تلك الصحف ويحتمل انها نسخت اجزاء أو احزاباً وإذا لم تكن الرقاع باقية على ترتيبها الاول كان من فوائد هذه الجمعة أيضاً

أعادة ترتيب الآيات في السور كما كان في عهده صلى الله عليه وسلم ومن فوائدها أيضاً تجديد ما عساه أن يكون قد تأكل من حروف الرقاع والعسب التي ليس من شأنها أن تحفظ ما يرسم عليها من الحروف مدة طويلة بخلاف الصحف فانها أبقى لحفظ ما يرسم بها خصوصاً اذا كانت احبارها ثابتة ومنها اتصال السند الكتاني بالاخذ عن الكتبة النبوية في جميع آيات القرآن وعن كتابها الذين حضروا عهدها وباشروا كتابتها كاتصال السند المتواتر في الرواية والتلقي عن الشيوخ وهي مع كتبة الرقاع بمثابة الطبقة الثانية من الشيوخ والكتبة العثمانية بمثابة الطبقة الثالثة وهكذا مرات الانساخ من المصاحف العثمانية تعتبر بمثابة طبقات الشيوخ التي يروى بعضهم عن بعض فالصحف البكرية كانها تروى عن الصحف المخافيه النبوية والمصاحف العثمانية تروى عن الصحف البكرية وهكذا فيما أنسخ منها أو كتب على قاعدتها وكل مصحف كتب على غير هذه القاعدة يعتبر مقطوع السند وتقدم عن المحاسبي ان هذه الكتبة لم تغير شيئاً من الرسم النبوي فهي كتبة حفظ وضبط واستبقاء وكذلك سائر الكتبات يجب أن لا تغير شيئاً من الرسم الاصل ولا يخفى ما في ذلك من الاهتمام بشأن القرآن وضبطه والمحافظة على وجوده وبقائه بالرسم الثابت المتواتر ولعل توقف أبي بكر رضي الله عنه في جمعه أولاً كان لما رآه من الاكتفاء بطريق الرواية والتحمل ولأن القرآن موعود بحفظه الى يوم الدين مع ظن لزوم الاتباع في عين ما كان عليه الامر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ترجح عنده بعد التثبت والنظر ما أشار به عمر رضي الله عنه انشرح صدره لذلك ووافقه عليه احتياطاً في الامر وأزدياداً في الخير وتابهما يزيد بن ثابت وسائر الصحابة فكان للقرآن بهذا النحو من الثبوت والحفظ طريقان طريق الكتابة وطريق الرواية

والتلقى من افواه الشيوخ وصدور الرجال وهذا الطريق يمتاز عن الاول
بالاصالة والاسبقية وتعديل الحروف والكلمات ومعرفة الوجوه
والصفات وغير ذلك مما يفى به النطق ولا تؤديه رسوم الكتابة التي هي
لحفظ المادة أقرب منها الى حفظ الهيئة فهو المعول عليه في الثبوت والبقاء
وان وجب على الامة المحافظة على الطريق الاول بمعنى أنه يجب عليهم أن
يحددوه على نحو هذه الكتابة الماثورة ولا يجوز لهم أن يكتبوه على غيرها
كما سيأتى لان القرآن شأنه واحد نظماً وخطاً فكما ان نظمته عربى
معجز ذو هيئة مخصوصة لا تثبت الا بالوحي ولا تعرف الا بالرواية
والتلقى عن الشيوخ كذلك رسمه عربى معجز لا يعرف الا بالاخذ عن تلك
الكتابة العاليه هذه هي سنة القرآن في الوجود المشهود خلفاً عن سلف
ولن تجد اسنة الله تبديلاً وقد قبض الله لحفظ وجوده الكتانى طائفة من
الامة وضعوا له علم الرسم القرآنى وأسسوا قواعده ودونوا مسائله وضبطوا
أصوله وفروعه بحيث لو فقدت المصاحف العثمانية كما فقدت الاخاف
النبيه والصحف البكرية أو اختلف الناس في رسم أى حرف من
حروفها لامكن أحيائها والرجوع الى كتبها بمراعاة هذا العلم وضوابطه
الحافظة لنظمه وتلاوته عن الخطأ في رسمه كما قبض الله لحفظ وجوده
اللفظي ونظمه العربى طائفة من الامة وضعوا علم التجويد والقراءات
لمعرفة رواياته وضبط حروفه ووقوف كلماته وحفظه من الخطأ في النطق
به واعلم أن للقرآن ما يشبه هذين النحوين من الوجود فى عالم الملكوت
فقد أثبت فى اللوح المحفوظ كتابة وألقى فى روع الملك تلقياً ورواية
فشأنه فى العالمين واحد لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتية الباطل من بين يديه
ولا من خلقه تنزىل من حكيم حميد

(٣٧) الجمعة الثالثة

وهذه الصحف البكرية الجامعة للاحرف السبعة التي نزل بها القرآن بقيت عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى سنة ١٣ هجرية ثم عند عمر حياته حتى توفي في ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ثم عند حفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفي خلافة عثمان رضى الله عنه حينما وقع تشاجر في القراءة وادعى كل احدهم المتشاجرين ان قراءته هي الصحيحة دون الاخرى وكان القراء الذين سلموا من القتل عند فتح اليمامة في زمن أبي بكر ماتوا عند فتح ارمينيا وازر بيجان في زمن عمر وعثمان رأى عثمان رضى الله عنه ان يحرد المصحف من تلك الالوجه السبعة الى وجه واحد منها لئلا يكثر الخلاف بين الناس ويتناكروا في القرآن الثابت بالتواتر فيقعوا في اثم عظيم ولعدم الداعية بعراشتهار القرآن وتعلمه واختلاط قبائل العرب الى تعدد لغاته لسهولة النطق بلغة واحدة على الكل فأحضر المهاجرين والانصار وارسل الى السيدة حفصة يسألها أن تعطيه الصحف التي عندها وحامف ليردنها اليها فارسلت اليه الصحف التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر رضى الله عنه ثم قال يامعشر المهاجرين والانصار أى الناس أعرف بالقرآن قالوا سعيد بن العاص قال وأى الناس اكتب قالوا زيد بن ثابت قال فيلعل سعيد وليكتب زيد وأحضر معهما عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأخرج ابن أبي داود أنه جمع اثني عشر رجلا من قريش والانصار وقال لهم اذا اختلفتم في لغة فاكتبوها بلغة قريش فلم يختلفوا الا في التابوت في البقرة فقال زيد بالهاء وقال غيره بالتاء فكتبوا بالتاء

(٣٨) كتابة المصاحف العثمانية وارسالها الى الجهات الاسلامية

وبعد ان اتموه قبول بالصحائف البكرية فلم يختلف في شيء فردها الى حفصة وطابت نفسه ثم أمر بنسخ أربع نسخ ثم زيد ثلاث أو أربع وأرسل بها الى الجهات وأمسك واحدة فأرسل الى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا كما أخرج ذلك ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات والمراد بالتأبوت في الآية صندوق التوراة وهو علي وزن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه يرجع اليه ما يخرج منه عادة فتأوه مزيدة كثناء ملكوت واصله توبوت فليت واوه الفا وهي لغة قریش والوقف عليه بالتاء في أكثر اللغات ومن وقف عليه بالهاء فإنه أبد لها من التاء ولغة الانصار تأبوه بالهاء من تبه كما ذكره ابن سيده ولعل رسم هذه الكلمة في المصحف البكرية كان بهيئة تحتل الوجهين كأن كانت مكتوبة بتاء مفتوحة وعليها صورة هاء أو بالعكس أو مكتوبة بالتاء وفيمن كان مع زيد من لغته أنصارية فلذلك اختلفوا (انظر الالوسي واللسان) قال أبو عمرو بن عبد البر ولما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان واتفق رأيهم ورأى الصحابة أن يردوا القرآن الى حرف واحد وقع اختيارهم على حرف زيد فأمره أن يملأ المصحف على قوم من قریش جمعهم اليه فكتبوه على ما هو عليه اليوم ومن هنا يعلم أن المصحف البكرية لم تكن قاصرة على لغة قریش بل كانت جامعة لها وغيرها وهذا يؤيد ما ذهب اليه السجستاني من أن المراد بقومه في قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا باسان قومه هم العرب لا خصوص قریش وأن قولهم في عثمان رضي الله عنه انه أول من جمع مصحف القرآن ليس على ظاهره فإن ابا بكر رضي الله عنه جمعه في مصحف و بقيت هذه المصحف عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها الى أن ماتت فسلمها عبد الله بن عمر

لجمع من الصحابة ففسلت غسلا بل قيل قد جمعه جماعة من الصحابة أيضا
ومن أشهرهم عبد الله بن مسعود ولكن الصحيح الذي عليه الجمهور أن
أول من جمعه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه

• (٣٩) (سبب جمع عثمان رضي الله عنه)

ثم ان عثمان رضي الله عنه حمل الناس على القراءة بوجه واحد باختيار وقع
بينه وبين من شاهده من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة من اختلاف
أهل العراق والشام في حروف القرآن كما سيأتي فقد روى البخاري عن
أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح
أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القرآن
فقال لعثمان أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل
الى حفصة أن أرسل اليها المصحف فنسخها في المصاحف ثم تردها اليك
فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير
وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف
وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء
من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا
ما نسخوا المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفي
بمصحف مما نسخه وأمر بما سواه من القرآن في كل صفحة أو مصحف
أن يحرق قال زيد فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد
كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتسناها فوجدناها
مع خزيمه بن ثابت الانصاري قال ابن حجر وكان ذلك في سنة خمس
وعشرين قال وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين
ولم يذكر له مستندا والمصحف التي أمر بحرقها غير المصحف التي ردت الى

السيدة حفصة وهي ما كانت مشتملة على وجوه غدير وجوه تلك
الصحف من روايات ضعيفة أو شاذة أو تأويل أو تقديم وتأخير
وأما صحف السيدة حفصة فقد استردها بعد وفاتها مروان حين
كان أميراً بالمدينة من جهة معاوية وأمر بتشقيقها وقال إنما فعلت هذا
لأنني خشيت إرطال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مراتب
وتقدم أنها غسلت وأمله بعد تشقيقها وهل مجموعة للخفاف والعسب كذلك
حرق أو غسلت أو بقيت بمكانها حتى أسرع إليها البلا لئلا لم تكتب معدة
للتلاوة ولا صالحة للاستعمال والبقاء وإنما كتبت موقفاً لجرد الأثبات والحفظ
فليست كالصحف البكرية ولا كالمصاحف العمانية وفي رواية أن حذيفة
قال يا أمير المؤمنين أدرك الناس فقال عثمان وما ذاك قال غزوت مرج
أرمينيا فخرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة
أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فيكفرهم أهل العراق وإذا
أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام
فيكفرهم أهل الشام قال زيد فامرني عثمان إلى آخر القصة وأخرج ابن
أشته من طريق أيوب عن أبي قلابة قال حدثني رجل من بني عامر
يقال أنس ابن مالك قال اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل
الغلمان والمعلمون فباغ ذلك عثمان بن عفان فقال عندي تكذبون به
وتلحنون فيه فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد
اجتمعوا فاكتبوا للناس اماماً فاجتمعوا فكتبوا فكانوا إذا اختلفوا
وتداروا في أى آية قالوا هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلاناً فيرسل اليه وهو على رأس ثلاث من المدينة فيقال كيف أقرأك
رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا فيقول كذا وكذا
فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً وهذا يؤيد ما قدمناه من أن رسم الكتابة

قد لا يفي بما يؤديه النطق وان من الوجوه السبعة مالا يضبطه الرسم فيرجع الى طريق الرواية والتاقي لا فرق في ذلك بين الرقاع النبويه والمصحف البكرية والمصاحف العثمانية ولذلك أرسل عثمان رضي الله عنه مع كل مصحف اما ما يرشد الناس الى وجه قراءته والنطق بحروفه قال الالوسي في تفسيره وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتي صرحوا بان عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة وهي لغة قریش محتجاً بان القرآن نزل بلغتهم اه وهو ظاهر في ان ترتيب السور كترتيب الآيات كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه خلافاً لما ذكره الخاكهم في مستدرکه قال الكرمانی ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين وقال الطيبي مثله وهو المروي عن جم غفير حتى قيل انه توقفي وعزى الى الجمهور فالقرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه كان مجموعاً في مصحف واحد مذكوخاً من اللخاف والعسب مترتب الآيات والسور كما للاحرف السبعة من لغات العرب كما تقدم ثم في عهد عثمان رضي الله عنه سنة خمس وعشرين هجرية كتب منه عدة مصاحف مجردة عن الالوجه المتعددة الى وجه واحد وهي المعبر عنها بالاحرف السبعة خشية ان يتوسع الناس في لغاتهم ويكثر الخلاف بينهم ويتسرب اللحن والخطأ الى القراءة والكتابة بسبب وجود تلك الاحرف التي اشتمل عليها المصحف البكرى وتناقلها الناس قراءة وكتابة على وجه لا يتيسر ضبطه الا للخاصة العارفين بها الواقفين على رسومها فكانت هذه الكتبة العثمانية مع ما احتفت به من التحفظات مؤيدة للكتبة البكرية في الضبط والحفظ حاسمة للفتن

مانعة للخلاف والتناكر والمراء والجدل في القرآن ولذلك لم يتوقف سيدنا
عثمان رضي الله عنه في هذا العمل حينما عرضت عليه نوازل الخلاف وما
ترتب عليه من الهرج لان درأ المفسدة مقدم على جلب المصلحة مع أن
أوجه القراءة اذ ذاك كانت محفوظة من طريق الرواية والتلقي عن الشيوخ
وهو الطريق المعول عليه في حفظ القرآن وضبط رواياته ولغاته التي نزل
بها على أن ذلك لم يكن عن رأيه الخاص بل كان برأى جمع من الصحابة
رضي الله عنهم فقد أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد قال
قال على لا تقولوا في عثمان الا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف
الا عن ملأ منا قال ما تقولون في هذه القراءة قد بلغني أن بعضهم يقول
أن قراءتي خير من قراءتك وهذا يسكاد يكون كفراً قلنا فما ترى قال
أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقه ولا اختلاف
قلنا فنع ما رأيت وسيأتي أن الاختلاف الواقع في المصاحف العثمانية
لا يخرجها عن كونها مصحفاً واحداً من حيث اشتمالها على الوجه
الواحد أو الالوجه الثابتة المعروفة وتجردها عن غير المعروفة في زمنه
صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين
عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر
رجلاً من قريش والانصار فبعثوا الى الربعة التي في بيت سمر جني بها
وكان عثمان يتماهدهم فكانوا اذا تدارءوا في شيء أخروه قال محمد فظننت
ان ما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة فيكتبونه
على قوله اه والربعة في اللغة جونة العطار وهي ما يضع فيه بضاعته
والمراد بها الوعاء الذي وضعت فيه الصحف وبالضرورة قدرأى سيدنا
عثمان ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ان انتشار الصحف البكرية
وتداولها بين الناس على هذه الوجوه موجب للخلاف المذكور وان

الاقتصار على وجه واحد حاسم لهذه الفتنة وقد علمت ان الامة لم تكن مكلفة بحفظ الاحرف السبعة كلها بل كانت مخيرة في القراءة بأبها شاءت وتواترها كما صرح به بعضهم اذ ذلك لا يستلزم وجوب معرفتها وان بقي كثير من حفاظها اذ ذلك لانها وجوه نزل القرآن بها وأجمع على اتباعها والاخذ برسومها وغايته انه أمر بالاقتصار على حرف منها لا سباب طارئة لو لم تكن لبنى الامر على تلاوتها والاخذ بها وهذا مثل ما عليه قراء القرآن بالروايات اليوم فان كثيرا منهم تعلم القرآن بالروايات من غير تأهل ولا أحكام ويقرأ بها في المجالس العامة جمعا وافرادا وقد أدى ذلك الى خال كثير في التلاوة ولو كانوا في الصدر الاول أو كان فيهم من أهل الصدر الاول لمتوا من القراءة بالروايات وقصروا على رواية واحدة سدا للزربة الفساد وليس في ذلك الغناء لتلك الروايات أو إهمالها ولكن لما لم يكن لدرة المفسدة طريق الاقتصار الناس على رواية واحدة مع عدم وجوب التلاوة لجميعها تعين ذلك للوصول الى هذه الغاية ولو تعلم الناس كلهم وجوه الروايات بأحكام واستعداد تام لضبطها ومعرفة شروط ادائها لما كان هناك داع لقصرهم على القراءة برواية واحدة فكذا الامر في كتابة المصاحف العثمانية والاقتصار على حرف واحد لو لم يقع خلاف وتناكر في القراءة لما قصر الامر على حرفها المذكور مع كونها كفيلة بحكمة الكتابة البكرية وهي خشية أن يذهب القرآن أو شيء من صحائفه بذهاب حملته فالكتبة الاخيرة هي الحاسمة الجامعة

(٤٠) (الفرق بين جمع أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما)

قال ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لانهم لم يكن مجموعاً في موضع

واحد فجمعه أبو بكر رضي الله عنه في صحائف مرتباً لآيات سورة على ما وقفه
النبى ﷺ وجمع عثمان كان لكثرة الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه
بلغانهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض خشي من تفاقم الامر
بذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من
سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وان كان قد وسع في
قراءته بلغة غيرهم دفعا للحرج والمشقة في ابتداء الامر فرأى أن الحاجة
الى ذلك قد انتهت واقتصر على لغة واحدة اه وهو ظاهر في أن القرآن
نزل أولاً بلغة قريش ثم رخص في قراءته بلغة غيرهم أى في بعض كلماته
وأن هذه اللغات التي كانوا يقرءون بها وأدت الى الاختلاف في
وجوه القراءة كانت في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبى بكر وعمر
ثم لما ازداد الخلاف وتفاقم في عهد عثمان رضي الله عنه وخشى مع طول
العهد أن يؤدى التناكر في القرآن الى الردة بعد الاسلام كما ذكره الامام
الطبري منع رضي الله عنه العمل على تلك الاحرف وقصر التعبد بالتلاوة
والكتابة على وجه واحد وعاليه فيكون المسوخ لنسخ المصاحف العثمانية
من الرقاع والعسب مجردة عن تلك الاحرف وحمل الناس على القراءة
بحرف قريش ليس مجرد درء مفسدة الخلاف المذكور بل ولأن الحاجة
الى تعدد اللغات كانت في مبدأ الامر وانتهت مع عدم وجوب التلاوة
بجميعها كما علمت وتخصيص لغة قريش لان القرآن نزل بها أولاً
ولانها أرسخ اللغات وأفصحها بل قيل ان القرآن نزل بها وان الاحرف
السبعة في بطونها كما ذهب اليه بعضهم وان كان المشهور ان القرآن نزل
بتلك الاحرف السبعة وانها أعم من لغة قريش وان كان لقريش الحظ
الاوفر منها في القرآن

(٤١) (الجمهور على ان المصاحف العثمانية لم تشتمل الا

على حرف واحد

وعلى هذا فكتابة المصاحف العثمانية لم تشتمل الا على حرف واحد من تلك الاحرف السبعة وهو حرف قريش واليه ذهب جمهور العلماء وأئمة المسلمين قال ابن الجزرى وهذا هو الذى يظهر صوابه خلافا لما ذهب اليه جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين من اشتمال المصاحف العثمانية كالرقاع النبوية والصحف البكرية على جميع الاحرف السبعة وبنوا عليه انه لا يجوز على الامة أن تهمل نقل شيء منها وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك أى من الصحف المشتملة على وجوه غير معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من لغة العرب أو على منسوخ أو تأويل وهذه هى التى أمر عثمان رضى الله عنه بتركها وحرقها فالصحف العثمانية عند هذه الطائفة كالصحف البكرية فى جمعها الاحرف السبعة والتأويل بحرقه وكف الناس عن تلاوته صحف أخرى مشتملة على لغات غير معروفة أو على منسوخ أو تأويل أو روايات آحاد وهى التى وقع التناكر فى قراءتها والقرآن انما ثبت قرآنه بالتواتر أو الشهرة الصحيحة والاحرف السبعة من هذا القبيل وربما يؤيد هذا ما ذكره القاضى أبو بكر فى الانتصار حيث قال لم يقصد عثمان رضى الله عنه قصد أبي بكر فى جمع القرآن بين لوحين وانما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغناء ما ليس كذلك واخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ

تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده

وقد يستأنس له أيضا برد الصحف البكرية الى حفصة وعدم الامر بحرقها كما أمر بحرق غيرها مما كان غير معروف إشارة الى ان دثار الفساد والخلل ليس لما في الصحف البكرية من تعدد الاحرف وانما هو للتوسع في اللغات السبعة بقراءات ووجوه لم تثبت ولم تعهد في زمنه صلى الله عليه وسلم ولو اقتصروا في القراءة على ما اشتهر من اللغات السبع لما صنع عثمان رضي الله عنه ما صنع وعلى هذا فالكتابات الثلاثة النبوية والبكرية والعثمانية لم تختلف من حيث اشتغالها على الاحرف السبعة وان اختلفت قصدا وأثرا من جهة أخرى فالتأليف في الزمن النبوي والجمع في الصحف بين لو حين في زمن الصديق والنسخ في المصاحف المتعددة في زمن عثمان رضي الله عنه منقضا اليه أمره بحرق كل ما اشتمل على وجوه غير معروفة أو منسوخ أو تأويل وأرساله تلك المصاحف المعروفة الى الجهات وحمل الناس على اتباعها والاخذ برسومها تلاوة وكتابة وبعثه مع كل مصحف من يرشد الى وجوه قراءته فقد بعث عبد الله بن السائب مع المسكي ليقري الناس به والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن قيس مع البصري وأمر زيد بن ثابت أن يري الناس بالمدني وكان في تلك البلاد الجمل الغفير من حفاظ القرآن من التابعين فقرأ كل مصري بما في مصحفه وقد علمت أن الاول هو المشهور المعروف عند جمهور العلماء وأئمة المسلمين ونقل صاحب الاقان عن الحارث المحاسبي أن المشهور عند الناس أن جامع القرآن ثمان وأيس كذلك انما حمل ثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينهم وبين من شاهده من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في

حروف القراءات فاما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن وأما السابق الى جمع الجلة فهو الصديق وقد قال على لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان اه وبقدم عنه أنه نقل أيضا عن أبي حاتم السجستاني أن القرآن نزل على سبع لغات من لغة العرب وهي لغة قريش وهذيل وتميم والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وان ابن قتيبة استنكر ذلك وقال لم ينزل القرآن الا بلغة قريش محتجا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وان هذه اللغات السبع في بطون قريش وفيه أنه لادلالة في الآية على ذلك بل الآية يصح أن توافق الطريقتين لان المراد بقومه صلي الله عليه وسلم أما قريش أو العرب فالصواب الاول كما قال ابن الجزري (٤٢) (اختلاف المصاحف في الرسم لا يوجب اختلافها في اللغة)

وسواء قلنا أن المصاحف الثمانية مشتملة على الاحرف السبعة أو مة صورة على حرف واحد فالظاهر أن جميعها كانت على صورة واحدة وأنه لا تخالف بينهما في الرسم بل كانت بشكل واحد لا يحتمل خلافا في الدلالة والتلاوة مع أنهم ذكروا في قوله تعالى في سورة الانعام ان أنجانا أنه مكتوب في المصحف الكوفي بالالف وفي غيره بالتاء بعد الياء وفي قوله تعالى كانوا هم أشد منهم قوة انه كتب منكم بالكاف في مصاحف الشام وبالهاء في غيرها وهذا ونحوه مع قول الامام ابن الجزري وغيره في قصة بعث المصاحف وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم ظاهر في وجود اختلاف بين تلك المصاحف والجواب ان هذا اختلاف قراءات في لغة واحدة لا اختلاف لغات قصد باثباته اتقاذا ما وقع الاجماع عليه الى اقطار بلاد المسلمين واشتباره بينهم وانما كتبت هذه في البعض بصورة وفي

آخر بأخرى لأنها لو كررت في كل مصحف لتوهم نزولها كذلك
ولو كتبت بصورة في الاصل وبأخرى في الحاشية لكان تحكما مع
اياهم التصحيح ومثل هذا بعد أمر عثمان رضي الله عنه وبمنه الى كل
جهة ما أجمع الصحابة على الاخذ به لا يؤدي الى تنازع أو فتنة لان أهل
كل جهة قد استندوا الى أصل مجمع عليه وامام يرشدهم الى كيفية قراءته
والحاصل أن المصاحف العثمانية كتبت بحرف واحد وهو حرف قريش
وان ذلك الحرف يسع من القراءات الصحيحة ما رسم بصور مختلفة انبا تا وحذفا
وأبدالا فكتب في بعضها برواية وفي بعضها برواية أخرى قليلا للاختلاف
في الجهة الواحدة بقدر الامكان فكما اقتصر على لغة واحدة في جميع المصاحف
اقتصر على رسم رواية واحدة في كل مصحف والمدار في القراءة على عدم
الخروج عن رسم تلك المصاحف ولذلك لا يحظر على أهل أى جهة أن يقرءوا
بما يقتضيه رسم الجهة الاخرى وتقدم في بيان ضابط القراءة المعتد بها
أن الممول عليه صحة السند وأن مخالفة المصاحف العثمانية منها ما هو مردود
ومنها ما هو غير مردود وذكر الامام محمد بن جرير الطبري (١) في تفسيره
أن امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله تعالى جمع
المسلمين على حرف واحد ومصحف واحد نظرا منه اليهم واشفاقا عليهم
ورأفة منه بهم حذار الردة بعد الاسلام والدخول في الكفر بعد الايمان
اذ ظهر من بعضهم بحضرة وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة
التي نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه
عليه السلام النهي عن التكذيب بشيء منها وأخباره اياهم أن المرء فيها

(١) ابن جرير هو الامام الجليل المجتهد أبو جعفر الطبري من أهل
طبرستان ولد سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين وقرأ القرآن على سلمان
ابن عبد الرحمن الطلخي وطاف الاقالم في طلب العلم وسمع عن الثقات

كفر فخلهم رحمة الله عليه اذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره وبعدائه
عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم علي ما أمن
عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد وجمعهم
على مصحف واحد وحرف واحد وترك ما عدا المصحف الذي جمعهم
عليه وعزم علي كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم
عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك الطاعة ورأت أن فيما فعل من
ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف الستة التي عزم عليها أمامها
العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لا لنفسها ولأن بعدها من سائر أهل
ملتها حتي درست من الامة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لاحد اليوم
الى القراءة بها لدنورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها

الاجلة وله تصانيف عديدة في علوم كثيرة منها كتاب التفسير وكتاب
التاريخ وكتاب اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين
وابتدا كتاب البسيط فخرج منه كتاب الطهارة في نحو الف وخمسمائة ورقة
وخرج منه أكثر كتاب الصلاة وآداب الحكم وكتاب المحاضر والسجلات
وغير ذلك وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان
حافظا لكتاب الله تعالى بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنة
وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا بقوال الصحابة والتابعين
ومن بعدهم وحكي أنه مكث أربعين سنة فكتب في كل يوم منها أربعين
ورقة وحسبوا له منذ بلغ الحلم الى أن مات تصنيف أربع عشرة ورقة
كل يوم . وتوفي آخر شوال سنة ٣١٠ ودفن بداره في رحبة يعقوب وصلي
على قبره عدة شهور ليلا ونهارا ورتاه خلق كثير من أهل الدين والادب
رحمه الله رحمة واسعة (انظر طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين
ابن السبكي)

من غير جحود منها بصحتها وصحة شيء منها واسكن نظرا منها لا تقسمها
ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي
اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية فان
قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها قيل ان أمرهم بذلك لم يكن امر
إيجاب وفرض وانما كان أمر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت
فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة
عند من يقوم بنقله الحجة وبقطع جهيزة العذر ويزيل الشك من قراءة
الامة وفي تركهم فعل ذلك كذلك أوضح دليل على أنهم كانوا في القراءة
بها مخيرين بعد أن يكون من نقلة القرآن من الامة من يجب بنقله الحجة
ببعض تلك الاحرف السبعة فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل
جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من
الفعل ما فعلوا اذ كان الذي فعلوا من ذلك هو النظر للاسلام وأهله فكان
القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما وقعوا به كانوا الى الجناية على
الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك فان قل لنا قائل فهل لك
من علم بالالسن السبعة التي نزل بها القرآن وأى الالسن هي من ألسن العرب
قلنا أما الالسن التي قد نزل القرآن بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لانا لو
عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التي قدمنا ذكرها وقد قيل ان خمسة
منها لمعجز هو زان واثنتين منها لقريش وخزاعة اهـ

(٤٣) منع كتابة القرآن بنير الخط العثماني والسري في ذلك

ويقرب من المعنى الذي لاجله قصر الصحابة كتابة المصحف على
وجه واحد وترك ما سواه المعنى الذي لاجله منع الفقهاء كتابة القرآن

بغير الخط العثماني لان الترخيص في رسمه بأي خط كان مع كونه مخالفا
لرسم الصحابة وهم أئمة الدين وخير من يقتدى بهم بل ومخالفا للتوقيف
النبوي كما تقدم ادعى الى التحريف والتبديل وتسرب الخلل الى قراءة
القرآن وكتابه لسكثرة الخطوط واختلاف أنواعها وأشكالها وكلها دون
هذه الكتبه متساوية اقدا مابلا فرق بين كتبه وكتبه فاذا سوغنا الخروج
عن الكتبه التوقيفيه مع اجماع الصحابه عليها تنوعت كتابة القرآن
وتعددت رسومها المترايده بزياد المصطلحين على رسوم الكتبه مدي
الايام وذلك ادعى للخلاف والتغير والتبديل في رسم القرآن وتلاوته
وخصوصا ما كان منها سقيا معجما لا يكاد يقرأ وهذا كما تقدم في توجيه
اختصاص انزال القرآن بأسلوب واحد وهو الاسلوب العربي المعجز مع
عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للكل حيث قالوا لو تعدد نظم الكتاب
المنزل عليه صلى الله عليه وسلم حسب تعدد السنة الامم لكان ادعى الى
التنازع واختلاف الكلمه وتطرق ايدي التحريف والتغير فكذلك
نظم هذه الكتبه المجمع عليها وما احتوت عليه من الاسرار والدقائق مما
لا يحتوى عليه رسم آخر لو رخص في غيرها من الكتبات الاخرى
التي لا تقف عند حد لادى ذلك الى التحريف والتغير في رسم القرآن
وتلاوته فوجب الاخذ بتلك الكتبه الاولى واختصاص القرآن برسمها
كما اختص الانزال بالنظم العربي المعجز بحيث لا يجوز الخروج عنها الى
غيرها من رسوم الكتبه الاخرى على انك قد علمت ان هذه الكتبه
مستمدة من كتبه صلى الله عليه وسلم وكتابها فتعتبر صورة للقرآن
القديم ومحلي من مجاليه مشتملا على اسرار لا يحيط بها الا اللطيف الخبير
فالمدول عنها الى كتبه اخرى كالممدول عن أسلوبه العربي المعجز الى
اسلوب آخر من لغته أو من لغة أخرى وقد سئل مالك رضي الله عنه هل

يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا الا على الكتابة الاولى رواه الداني في المنقح ثم قال ولا مخالف له من علماء الامة وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والالف أترى أن تغير من المصحف ان وجد فيه كذلك قال لا قال أبو عمر ويعني الواو والالف المزيدين في الرسم المدومتين في اللفظ نحو أولوا وقال الامام احمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك وقال البيهقي في شعب اليمان من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم كانوا اكثر علما واصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي ان نظن بانفسنا استندرا كما عليهم وحكي بعضهم أنه قد اجمع على كتابة المصاحف العثمانية اثنا عشر الفا من الصحابة رضي الله عنهم فيجب على كل مسلم أن يقتدى بهم ويفعلهم لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهديتم وقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبلى الله المدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى فلزم اتباعهم فما كتبوه بواو فواجب أن يكتب بواو وما كتبوه بغير واو فيجب أن يكتب بغيرها وهكذا وما كتبوه متصلا أو منفصلا فواجب ان يكتب كذلك وما كتبوه من التاءات مفتوحا أو مربوطا فواجب أن يكتب كذلك وقد علمت أن رسم القرآن سنة متبعة وسر من الاسرار الالهية المختصة فالطاعن في هجائه كالطاعن في تلاوته والمغير والمبدل فيه كالغير والمبدل في أسلوبه ونظمه والقاعدة العربية كما في الالتقان وغيره ان اللفظ يكتب بحروف هجائه مع مراعاة الابتداء والوقف عليه وقد مهد له النحاة أصولا وقواعد وقد خالفها في بعض الحروف المصحف الامام فيجب اتباعه في كتابة القرآن ولا يجوز مخالفته محافظة على حدود كتاب

الله تعالى وصيانة له من تطرق الخلل وتحريف الكلم اه فانه اذا لم يحافظ على هذا الرسم المجمع عليه من سلف الامة وخلفها وأيبح رسمه باى خط كان لادى ذلك الى تحريف القرآن وتغيير النطق بحروفه وكلماته وان صح وحفظ لقوم أعتادوا رسوذه لا يحفظ لآخرين لم يعتادوا تلك الرسوم والكتيبة الاولى أحق بالالتزام وأولى ان يعتادها الكل فى كتاب الله تعالى دون غيره كتابة وقراءة سدا لهذه الذريعة وحماية لجانب القرآن المقدس واتباعا للسنة وسلف الامة حتى يكون مختصا بهذه الميزة لا يشاركه فيها غيره من كتب البشر فيكون بعيدا فى رسمه عن رسمها كما هو بعيد فى نظمه عن نظمها فكما امتاز القرآن فى صدر الاسلام بأصل الكتابة واهتمت النبوة بشأنه فأمرت بكتابه ونهت عن كتابة غيره خشية الالتباس والضياع ينبغى أن يمتاز بشكل من أشكال الكتابة لا يزاوجه فيه غيره ولا شك أن أحق الاشكال بالاتباع شكل الرسم المأثور عنه صلى الله عليه وسلم وانفق عليه الصدر الاول وأمر الصحابة به (وكل خير فى اتباع من سلف * وكل شر فى ابتداع من خلف)

(٤٤) يجب المبادرة باصلاح ما كتب من القرآن على غير

الرسم العثمانى أو غسله

ولقد احدث الناس خطوطا كثيرة وطبعت مصاحف برسوم مختلفة وخطت بأيدى جملة لا يفقهون قواعد الرسم ولا يعرفون أصول الكتابة فمثل هؤلاء لا يعبا بهم ولا يعول على رسمهم بل يجب على الامة اذا روا مصحفا مخطوطا أو مطبوعا مخافا للرسم الاصلى أن يبادروا باصلاحه أو حرقه أو غسله كما انه يجب على

من رأى لحناً في مصحف زيادة أو نقصاً أن يبادر باصلاحه و يعد آثماً
بتأخيرهِ وبالجملة فالواجب على الامة الاخذ بالكتابة الاولى واتباع رسومها
مع ما فيها من مخالفة القياس الخطي فان الخط الثماني لا يقاس ولا يقاس
عليه اذ لا يدخله النظر والاجتهاد وقد تقدم ان فيه شيئاً من التوقيف
ان لم يكن بوحى ظاهر فبوحى باطن لا مريية فيه وقد جعلت المصاحف
العثمانية طريقاً لتعميم ثبوت القرآن وسداً لذريعة ما عساه أن يقع بين
الناس من النزاع في القراءة وخصوصاً في الجهات النائية عن مقر الشيوخ
الحافظين الضابطين الذين يرجع اليهم في كيفية النطق والاداء فكان
وجودها بين الامة اذ ذلك بمنزلة طبقات الشيوخ في الجهات بل وجود
كل مصحف عثماني في جهة بمثابة وجود طبقة الصحابة الذين رسموه
وأجمعوا على اتباعه وسلوك منهجه وكل ما نقل منه على رسمه أو كتب على
قاعدته فهو بمثابة أذ ليس المقصود اتباع عين الكتابة الاولى اذ هي مما
يبلى ويزول وانما المقصود نوعها والمحافظة على اشكالها ورسومها
وكثيراً ما توافق الرسم العرفي وقد خالفه في مواضع مخصوصة وكلمات
محصورة معدودة تصدى لجمعها وبيان مناسباتها ووجه اختلاف رسمها
بقدر المستطاع كثير ممن عنوا بفن الرسم العثماني ومعرفة دقائقه منها قوله
تعالى بنيناها بأيدينا بين بين الالف والبدال وقوله تعالى من نبأ المرسلين
بياء بعد الالف من نبأ وقوله تعالى من ملئيه ومن ملئهم بياء قبل الهاء
فيهما فهذا ونحوه مما يجب اتباعه في كتابة المصاحف القرآنية اقتداء
بالصحابة رضوان الله عليهم اما في غيرها فيكتب بأيديهم واحدة لان
الهمزة فيه أول كلمة فتصور ألفا كغيرها من الهمزات الواقعة أولاً
وهكذا وتكتب تاء التانيث في نحو رحمة ونعمة وقسمة بالهاء لان الوقف
عليها بالهاء على الصحيح وبعضهم يقف عليها بالتاء وهي لغة قليلة فتكتب

بالتاء موافقة للوقف بلا فرق بين موضع وموضع بخلاف ذلك في رسم المصحف الكريم فانها تكتب بالتاء في مواضع وبالهاء في مواضع أخرى كما بينه ابن الجزرى في منظومته وبالجملية فعلم الرسم الخلفي علم واسع وصناعة دقيقة

(٤٥) (علم الرسم السلفى ورسوم الصحابة فيه)

وأوسع منه وأدق علم الرسم السلفى وهو رسم المصحف الامام ومن تأمل في رسمه وما اشتمل عليه من الاسرار والدقائق علم أن الصحابة كانوا أعرف بالناس بهذا الفن خصوصاً الذين كتبوا القرآن الكريم وإن كان بعض حروفه بالاملاء والتلفين منه ﷺ وفي روح المعاني للعلامة الالوسي والظاهر ان الصحابة كانوا متقنين رسم الخط عارفين بما يقتضي ان يكتب وما يقتضى ان لا يكتب وما يقتضى ان يوصل وما يقتضى ان لا يوصل الى غير ذلك لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة ويستأنس لذلك بما أخرجه ابن الانبارى في كتابه التكملة عن عبد الله بن فروخ قال قلت لابن عباس يا معشر قريش أخبروني عن هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الالف واللام والنون قال نعم قلت ومن أخذتموه قال من حرب بن أمية قلت ومن أخذته حرب قال من عبد الله بن جدعان قلت ومن أخذته عبد الله بن جدعان قال من أهل الانبار قلت ومن أخذته أهل الانبار قال من طارىء طراً عليهم من أهل اليمن قلت ومن أخذ ذلك الطارىء قال من الخليلان بن النعمان كاتب الوحي ليهود النبي عليه السلام اه قال وفي كتاب محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر أن أول من اشتهر بالكتابة في الاسلام من الصحابة

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم والظاهر أنهم لم يشتهروا في ذلك الا لأصابتهم فيها والقول بان هؤلاء الأئمة وسائر الصحابة لم يعرفوا مخالفة رسم الالف أى في قوله تعالى لا أذبحنه بزيادة الالف لما يقضيه قوانين أصل الخط وكذا سائر ما وقع من المخالفة مما لا يقدم عليه من له أدنى أدب وانصاف اه يشير بذلك إلى رد ما ذكره ابن خلدون في مقدمته ونقله عنه في صدر عبارته فراجعه وقوله لكن خالفوا الخ ظاهره ان ذلك كان باجتهاد منهم وقد علمت ان رسم القرآن خارج عن النظر والاجتهاد وان منه ما لا يدرك سره الا من أنزل عليه الكتاب وان بعضه بالوحي والتوقيف وبعضه بالصناعة والتعليم

(٤٦) (أنواع الكتابة وأصل الخط العربي)

وذكر ابن خلكان وغيره ان أنواع الكتابة اثنا عشر نوعا وهي الحميرية والقبطية والبربرية والاندلسية واليونانية والهندية والصينية والرومية والسريانية والفارسية والعبرانية والعربية وقال ابن اشته في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار أن أول من وضع هذه الانواع آدم عليه السلام كتبها في طين وأحرقه ودفنه قبل موته بثلاثمائة سنة وبعد الطوفان أصاب كل قوم كتابا فتماموه باللهام وتقلوا صورته واتخذوه أصل كتابهم وبقي الكتاب العربي حتى خص الله به اسماعيل عليه السلام فأصابه وهو أول من تكلم بالعربية إلهاما من الله تعالى وفي صريح الاعشي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان قبيلة من طى نزلوا مدينة الانبار وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جذرة اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ثم قاسوها على هجاء السريانية فأما مرامر فوضع الصدر وأما أسلم فنصل

ووصل وأما عامر فوضع الاعجام ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه وقضية هذا إن الاعجام موضوع مع وضع الحروف وروى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء حتى من النقط والشكل

(٤٧) نقط المصاحف وشكلها ووضع الفواصل بين رؤس الآي

وروى أن أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الاسود الدؤلي من تلقين علي كرم الله وجهه وأما الشكل فقليل أن أول من بدأ به في المصحف أبو الاسود وقليل هو نصر بن عاصم الليثي وهو الذي خمسة وعشره وقليل هو يحيى بن يعمر وهو من أجلة تابعي البصريين وأكثر العلماء علي أن ابا الاسود جعل الحركات والتنوين لا غير وان الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد وقد رخص في نقط المصاحف وشكلها بالاعراب جماعة منهم ربيعة بن عبد الرحمن وابن وهب وصرح الشافعي بأنه يسدب نقط المصحف وشكله أما تجريد الصحابة له من ذلك فكان حين ابتداء الجمع حتى لا يدخل بين دفتي المصحف شيء سوى القرآن ولذلك كرهه من كرهه اه ملخصا من الجزء الثالث ولا يعد مثل ذلك اخراجا للكتابة الاولى عن نوعها المطلوب فان النقط والشكل اضافة هيئة لها مع بقاء أصلها كما هو لزادة الضبط والبيان وقد يعد مثل ذلك من التفسير فقد عرفوه بما يشمل بيان كيفية النطق بالقرآن وكذلك وضع الفواصل بين رؤس الآي ورموز أحكام الوقف والابتداء على أن تجريد المصاحف من النقط والشكل إنما كان للاستغناء عنها بمعرفة رسم الحروف المعجمة والمهملة وتمييز كل منهما عن الآخر وبسلاقتهم الغنية عن بيان الاعراب أما بعد فساد اللسان

واختلاف الرسوم وتشابه أوضاع الحروف فقد توفرت الداعية للنقطة
والشكل وأصبح ذلك في القرآن أمراً لازماً وعلى ذلك جرى المسلمون
في طبع المصاحف وكتابتها وأنها بحمد الله تعالى ومزيد فضله على الاسلام
والمسلمين خالية من التبديل والتحرير وأعد لها خطاً ورسماً وأقومها
ضبطاً وصيانة في زمننا هذا بل وقبله بقرون المصحف الشريف الذي طبع
الآن بمصر في عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول وقد جاء في
تعريفه أنه كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة
السكري لقراءة عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن
عفان وعلى بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي
بعث بها عثمان بن عفان الى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله
لاهل المدينة والمصحف الذي اخص به نفسه وعن المصاحف المنتسخة منها
وقد قام بتصحيحه ومراجعته على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات
مراجعة دقيقة الاستاذ الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني شيخ المقاري
الناصرية الآن وهو الذي كتبه بخطه والاستاذ حفي بك ناصف المقتش
الاول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية والاستاذ الشيخ مصطفى عناني
والشيخ أحمد الاسكندري المدرسان بمدرسة المعلمين الناصرية والاستاذ
الشيخ نصر العادلي رئيس المصححين بالمطبعة الاميرية تحت إشراف
الشيخ الأزهري الجليلة وقد وفق الله تعالى جلّت قدرته فتم طبع هذا
المصحف الكريم في اليوم السابع من شهر ذي الحجة لسنة اثنين واربعين
وثلاثمائة وألف من هجرة خاتم المرسلين في عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم الذي وجه عنايته السامية الى انجازه
واقامه تعجيلاً للفائدة المرجوة والغاية المبتغاة من نشره في العالم الاسلامي

وأبتغاء لحسن المثوبة من الله سبحانه ولجميل مرضاته فأنجز طبعه على أحسن مايرام من الاتقان والاحكام في عهد جلالته المبارك وعصره السعيد اه
فجزى الله العاملين في رسمه والساعين في طبعه ونشره أحسن الجزاء وياحبذا لو وفق ولاية الامور لمنع طبع المصاحف الشريفة في القطر المصري الاعلى هذه
الكتبة المحررة حتى يتوحد المصحف الشريف ويمتاز برسم يخصه ويظهر
الفران الكريم في هذه الصورة الماثورة عن الصحابة وسلف الامة محفوظاً
من التغيير والتبديل وان يطبع منه عدد وافر ويبحث بجانب منه الى البلاد
الاسلامية وينصح الى أهل كل جهة بوجوب اتباعه والاخذ برسمه فيما
يخطون ويطبعون وترك ما سواه من المصاحف التي لم تكن على هذه
الكتبة كما صنع عثمان رضي الله عنه حيث كتب عدة مصاحف وأرسل
منها الى الجهات وأمر باتباعها والقراءة عليها وترك ما سواها من الصحف
الاخرى لو صنعوا ذلك لنصحوا لكتابهم وأحيوا سنة رسولهم صلى الله
عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ومن أحيها فكنما أحيأ
الناس جميعاً

(٤٨) (النصيحة لكتاب الله تعالى)

وقد ذكر العلماء كما قاله الامام النووي أن من النصيحة الواجبة
لكتاب الله تعالى تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وأقامة حروفه والذب
عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع
أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكير في عجائبه والعمل
بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه
ونشر علومه والدعاء اليه والى ما ذكرنا من نصيحته اه ولا شك أن
النزام هذه الكتبة السلفية مما يؤدى الى أقامة حروفه وتلاوته حق تلاوته

ولله الحمد قد عني المسلمون بكل هذه النصائح ولا يزال القرآن مضبوطاً بالكتابة محفوظة بالرواية والتلقي عن الثقات الضابطين خلفاً عن سلف وفي المسلمين بكل الاقطار وخاصة بالقطر المصري عدد عظيم من الحفاظ والقراء.

(٤٩) حفظ القرآن وصيائمه من التحريف

ولا يزال القرآن كذلك محفوظاً الى يوم الدين تحقيقاً لوعده الله الذي لا يخلف وعده فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر واتا له حافظون أى من كل ما يقدح فيه من زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل ولم يحفظ الله تعالى كتاباً من الكتب السماوية كما حفظ القرآن الكريم بل استحفظها جل ذكره الرابنانيين والاحبار وحملهم عبأها وألزمهم أمانتها فوقع فيها ما وقع من التبديل والتغيير وتولى سبحانه حفظ القرآن وصيائمه ليبقى آية ناطقة بالحق وحجة قائمة على العالمين أبد الدهر ومعجزة دائمة لخاتم أنبيائه صلوات الله عليهم الى يوم الدين ومن تمام حفظه حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم لانها مبينة له كما قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم مرغبة في حفظه والتعبد بتلاوته ناهية عن نسيانه وتركه فقد أخرج مسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آ ناء الليل وآ ناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آ ناء الليل وآ ناء النهار وروى الترمذى من حديث ابن مسعود من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها وعن انس رضى الله عنه مرفوعاً نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن وصرح النووي في الروضة وغيرها

بان نسيانه كبيرة لحديث أبي داود وغيره عرضت على ذنوب أمي فلم
أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها وفي
الصحيحين تعاهدوا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد ثقلنا من
الابل في عقلها أنظر تمامه في الاتقان وغيره

(٥٠) (حفظ السنة النبوية)

وقد تصدى لحفظ السنة وضبط رواياتها وترتيب أبوابها رجال ثقات
من أئمة الدين وهم طائفة المحدثين خلفا عن سلف الا انها لم تكن في
عصر الصحابة وكبار التابعين مدونة ولا مرتبة الابواب كما هي عليه اليوم
لاستغنائهم عن تدوينها اذ ذاك لقوة الحفظ وصفاء الذهن ورسوخ
الملكة وحضور الذاكرة فكانت صدورهم أناجيلهم يرجعون اليها كما
يرجع الانسان الى الكتب ولانهم كانوا قد نهوا أولا عن كتابتها مينة
للقرآن وخشية أن يتكوا على الكتابة فتضيع فضيلة الحفظ والضبط
المتوفرة في نفوسهم تمام التوفر فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز على رأس
المائة وتنوعت الالسن وقصرت الافهام وتساهل الناس في الرواية والحفظ
أمر بتدوين الحديث فأول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز الشهاب
الزهرى وأما الجمع مرتبا على الابواب فوقع في نصف القرن الثاني فأول
من جمع ذلك ابن جرير بمكة ومالك وابن اسحاق بالمدينة وهشام بواسط
ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع ابن صبيح وسعيد بن أبي
عروبة وحامد بن أبي سامة بالبصرة وسفيان الثوري بالكوفة والاوزاعي
بالشام وجرير ابن عبد الحميد بالرى وكل هؤلاء كانوا في عصر واحد فلا
يدرى ايهم اسبق كما قال الحافظ العراقي والحافظ بن حجر

(٥١) (رفع العلم في آخر الزمان)

وبالجملة فالعلماء القائمون بحفظ العلوم الشرعية وتدوينها قائمون بحفظ الكتاب والسنة وكلها لا تزال محفوظة بين الامة مصونة عن اللبس والدخل الى ان يرفعه الله تعالى من الصدور والكتب آخر الزمان قبل يوم القيامة لما جاء في كثير من الاخبار فقد اخرج البيهقي والحاكم وصححه وابن ماجه بسند قوى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صدقة ولا نسك ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ويبقى الشيخ الكبير والمعجوز يقولون ادركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله الا الله فنحن نقولها واخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ما هذه الكتب التي بلغتكم أنكم تكتبونها مع كتاب الله تعالى يوشك أن يفضب الله تعالى لكتابها فيسرى عليه ليلا لا يترك في قلب ولا ورق منه حرفا الا ذهب به فقليل يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات قال من أراد الله تعالى به خيرا أبقى في قلبه لا اله الا الله واخرج ابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال يسرى على كتاب الله فيرفع الى السماء فلا يبقى في الارض آية من القرآن ولا من التوراة والانجيل والزبور فيترع من قلوب الرجال فيصيحون في ضلالة لا يدرون ما هم فيه وأخرج الديلمي عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتي يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى ولا يعمل بي وأخرج محمد بن نصر نحوه موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص واخرج غير واحد عن ابن مسعود أنه

قال سيرفع القرآن من المصاحف والصدور ثم قرأ وائى شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك الآية وفى البهجة أنه يرفع أولا من المصاحف ثم يرفع لاجل زمن من الصدور والذاهب به هو جبريل عليه السلام كما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده فيألفها من مصيبة ما أعظمها وبلية ما أوجها انظر الالوسي فى تفسير قوله تعالى وائى شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا وقد أخذ القرآن بل والسنة وعلوم الشريعة فى الرفع من الآن فان عامة الناس بل وخاصتهم من العلماء قل من يعنى منهم بحفظ كتاب الله وسنة رسوله والمشتغلون بتعلم القرآن من أولاد المسلمين أصبحوا الآن فى غاية الفلذة ذكر الفرطى أن رفع القرآن على هذه الكيفية الواردة فى الاحاديث انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وهدم الحبشة السكبية فلا حول ولا قوة الا بالله .

(٥٢) (خاتمة فى تبليغ القرآن واحكام الدين)

تقدم فى المقالة الرابعة فى حكم ترجمة القرآن ان تبليغ نظم القرآن وأسلوبه العربى انما هو بالنسبة الى من يمكنه أن يقرأ باللغة العربية فيطلب تبليغه للهداية والتحمل والتعب بتلاوته وحفظه والاحتجاج به وتأدية القدر المطلوب منه فى الصلاة وأما من لا يمكنه القراءة بها من أهل اللغات الاخرى فانما يبلغ أحكام الدين بترجمتها من لغته ويجب عليه تعلم اللغة العربية لتأدية ما يطالب منه وجوبا وبندب له فيما يطالب منه ندبا لان الوسيلة تعطى حكم مقصدها فتبليغ أحكام الدين عام للعربى وغيره فمن أحسن اللغة العربية بلغ بها ومن لم يحسنها بلغ بالترجمة والتفسير وأما نظم القرآن الكريم وأسلوبه العربى فلا يبلغ الا لمن أحسن لغته لما علمت ان ترجمته الحرفية بالمثل غير مقدورة وبدون المثل لا تجوز ولا تجدى وأما ترجمته التفسيرية فكسائر

التفسير العربية جائزة بشرط أن يكون تفسيرها مستمدا من الاحاديث النبوية الصحيحة وعلوم اللغة العربية والاصول المقررة في كتب الشريعة الاسلامية وبذلك تعلم أن تعميم الرسالة للبشر لا يتوقف على ترجمة القرآن وإنما يتوقف على تبليغ احكامه وسبيله أن تترجم احكام الاسلام التي تضمنها القرآن والسنة من عقائد وعبادات ومعاملات وغيرها ترجمة صحيحة وافية مشفوعة ببيان أسرار التشريع ومقاصده ثم يبلغ ذلك لجميع الامم لا فرق بين عربي وغيره وطرق التبليغ مختلفة فتارة يكون بالمشافهة بواسطة وغير واسطة وتارة بالمكاتبة وارسال الرسائل كما وقع له صلى الله عليه وسلم وهو مبعوث الى الثقلين فتمد بلغ ما أوحى اليه من الاحكام بهذا الطريق فيبلغ الحاضر بنفسه وأمر الشاهد ان يبلغ الغائب وأرسل للغائب رسولا تارة وبعث اليه بكتاب تارة أخرى واقتفى أثره في ذلك الخلفاء الراشدون والعلماء العاملين وهذا النوع من الترجمة والتبليغ على هذا الوجه اصبحت الآن من فروض الكفاية على جماعة المسلمين فاذا قاموا به فقد أدوا حق الله وحق الاسلام وأجابوا داعي الله كما قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وبذلك تنتهي حاجة من لا يعرف لغة القرآن واحكام الاسلام وبه تتحقق الدعوة اليه والالذار به فاذا عرف محاسن الاسلام وشرح الله صدره اليه وسمت نفسه الى تعلم لغة القرآن وتعلمها فتمد ذلك يبلغ اليه القرآن بلسانه العربي ويخاطب بحكم التحمل له والتعبد بتلاوته والاحتجاج بآياته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم تحريرا يوم الاحد ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ على يد أفقر العباد وأحوجهم الى مولاه الرؤوف محمد بن حسين بن محمد مخلوف العدوي المالكي غفر الله له ولوالديه والمسلمين

قد اطلع حضرة الاستاذ الثبت النعمة الشيخ محمد علي خلف الحسيني
شيخ القراء بالديار المصرية على هذه الرسالة وكتب هذه الكلمة الآتية
فشكرنا له

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن تكفل بحفظ الذكر الحكيم من عبث الانس والجان .
واختص من شاء من عباده فهده الى علوم التبيان . وصلاة وسلاما على
سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن فبلغه مصونا من النقص والتحريف
والتبديل . وعلى آله وأصحابه الذين تلقوه عنه ونقلوا إلينا رسمه ونظمه
محلى بحلية الترتيل . (و بعد) فقد وفقت لان وقفت على الكتاب الموسوم
بعنوان البيان . في علوم التبيان لناسج برده . وناظم عقده . الاستاذ الاوحد .
العلم المفرد . العلامة الفيلسوف . من هو بكل جميل موصوف . الشيخ محمد
حسنين ابن المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ حسن بن محمد مخلوف . فألقيته
روضة تحقيق في محاسنها يتنافس المتنافسون . وبحر علم منه يغترف العلماء
العاملون . جمع فيه الى جمال المباني . جلال المعاني . وضمنه ثمرات
المطولات . وحلى به جيد المختصرات . فكان عنوان البيان وآية العرفان .
وهدية الزمان الى بني الانسان . ولاغرو أن سرح الطرف في هذه الرياض
يبتغي ثمرها فدنت له قطوفها . أو غاص هذه البحار يروم درها فتسابقت
اليه صنوفها . فهو فارس الميدان . ورب الفصاحة والبيان . تقع الله به
وبما كتب في كل زمان ومكان . انه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير .

كتبه محمد علي خلف الحسيني

الشهير بالحداد شيخ المقاري المصرية

﴿ فهرست عنوان البيان في علوم التبيان ﴾

صحيحة

- ٢ فاتحه الكتاب
- ٣ المقالة الاولى
- ٣ معنى القرآن في اللغة
- ٤ « » في اصطلاح اهل الاصول
- ٦ « » عند المتكلمين
- ٦ « » انزال القرآن
- ٨ لا يقال ان القرآن حادث او مخلوق
- ١٠ اطلاق القرآن على الصفة القديمة
- ١١ انزال القرآن في سماء الدنيا
- ١١ اطلاق القرآن وكلام الله على ما بين دفتي المصحف
- ١٢ اثبات القرآن في اللوح المحفوظ
- ١٣ انزال القرآن الى سماء الدنيا
- ١٥ ✓ اعجاز القرآن في اسلوبه العربي
- ١٦ ✓ القرآن عربي بالنص
- ٢١ حديث نزول القرآن على سبعة احرف
- ٢٤ « » « » « » ابواب
- ٢٦ المقالة الثانية في حكم تجويد القرآن واركان قراءته
- ٢٨ تعليم القرآن في الصدر الاول
- ٢٩ اول من جمع الاولاد بالمكتب سيدنا عمر رضي الله عنه

- ٣٠ بدعة الجمع في القراءات
 ٣٢ التقي عن الشيوخ
 ٣٣ أركان القراءة
 ٣٦ انواع القراءات اربعة
 ٣٦ الخلاف في ثبوت القرآنية بخبر الاحاد المحتف بالقرآن
 ٣٩ تواتر القراءات
 ٣٩ المقالة الثالثة في جمع القرآن وكتابته بالخط العثماني
 ٤٠ دراسة القرآن وكتابته في عهده عليه السلام
 ٤١ كتابة القرآن توقيفيه
 ٤٣ امية النبي صلى الله عليه وسلم
 ٤٤ كتابه عليه السلام
 ٥٥ حفظة القرآن في عهده عليه السلام
 ٤٦ جمع القرآن
 ٤٧ ترتيب الآيات توقيفي
 ٤٨ الخلاف في إن ترتيب السورة لا توقيفي
 ٥٠ الجمعة الثانية
 ٥٣ اختلافهم في المراد بالاحرف السبعة
 ٥٦ فوائد جمع ابى بكر رضي الله عنه
 ٥٩ الجمعة الثالثة
 ٦١ سبب جمع عثمان رضي الله عنه
 ٦٥ الفرق بين جمع ابى بكر وعثمان رضي الله عنهما
 ٦٧ الجمهور على ان المصاحف لم تشتمل الا على حرف واحد

- ٧٢ منع كتابة القرآن بغير الخط العثماني
 ٧٥ يجب المبادرة باصلاح ما كتب من القرآن على غير الرسم العثماني او غسله
 ٧٧ علم الرسم السامى ورسوم الصحابة فيه
 ٧٨ انواع الكتابة واصل الخط العربى
 ٧٩ نقط المصاحف وشكلها ووضع الفواصل بين رؤس الآى
 ٨١ النصيحة لكتاب الله
 ٨٢ حفظ القرآن اقل
 ٨٣ حفظ السنة النبوية
 ٨٤ رفع العلم فى آخر الزمان
 ٨٥ خاتمة

٧١ مؤلفات حضرة المؤلف

- ١ اتحاف الوراد بأشعة الأوراد للسادة الخلوئية
- ٢ الحاشية الأولى على شرح المقولات الحكيمة
- ٣ الحاشية الكبرى على شرح المقولات الحكيمة
- ٤ الاقضية القدسية في بيان بعض الاصطلاحات الحكيمة
- ٥ التصورات الأولية في المقولات الحكيمة
- ٦ شرح حديثين من صحيح الامام البخاري
- ٧ تعليقات على نخبة الفكر في مصطلح الحديث
- ٨ تعليقات على رسالة العاملي في الحساب والمساخاة والخبرية الخ
- ٩ رسالة في حكم زكاة الأوراق المالية الخ
- ١٠ مدخل علم أصول الفقه
- ١١ عنوان البيان في علوم التبيان
- ١٢ القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق
- ١٣ رسالة في حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته
- ١٤ القول الجامع في الكشف عن مقدمة جمع الجوامع
- ١٥ شرح المورد الرحمان في التوحيد والتصوف
- ١٦ الفصول الوفيات في احكام المعاملات

تحت الطبع

١٧ شرح نصيحة الذاكرين للعارف بالله تعالى سيدي
احمد شرقاوى

- ١٨ المطالب القدسية في الروح وانواع تعلقاتها وآثارها الكونية
»
١٩ لباب الصبوح في ستر تحريم الدم المسفوح
٢٠ رسالة في حكم اخراج الزكاة طعاما وثبوت هلال رمضان
بالتلغراف والاستصباح في المساجد بالشموع والشحوم الوارد
من البلاد الأجنبية
٢١ القول المبين في حكم المعاملة بين الاجانب والمسلمين
٢٢ الرحلة المهمة في اراحة الرين عن قلوب الامة
٢٣ تعليقات على الافاضة القدسية (حكمة)
٣٤ المقالة الفيحاء في أولية خلق النور والهباء
٢٥ كشف الغطاء عما ورد على السنة الادعية من كلام الاصفياء
٢٦ رسالة في شرح الصلاة الكمالية
٢٧ رسالة في مبادئ الفنون
٢٨ الفوائد الحسان في الكلام حال جلوس الامام على المنبر
والترقيه والآذان
٢٩ التبيان في حكم زكاة الانمان
٣٠ رسالة في سكر النهر الاعظم
٣١ رسالة في فضائل ليلة النصف من شعبان
٣٢ الجواب القويم في ان الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم
٣٣ الاجوبة المرضية عن الاسئلة الشامية في استعمال الذهب والفضة
والملايس الحريرية

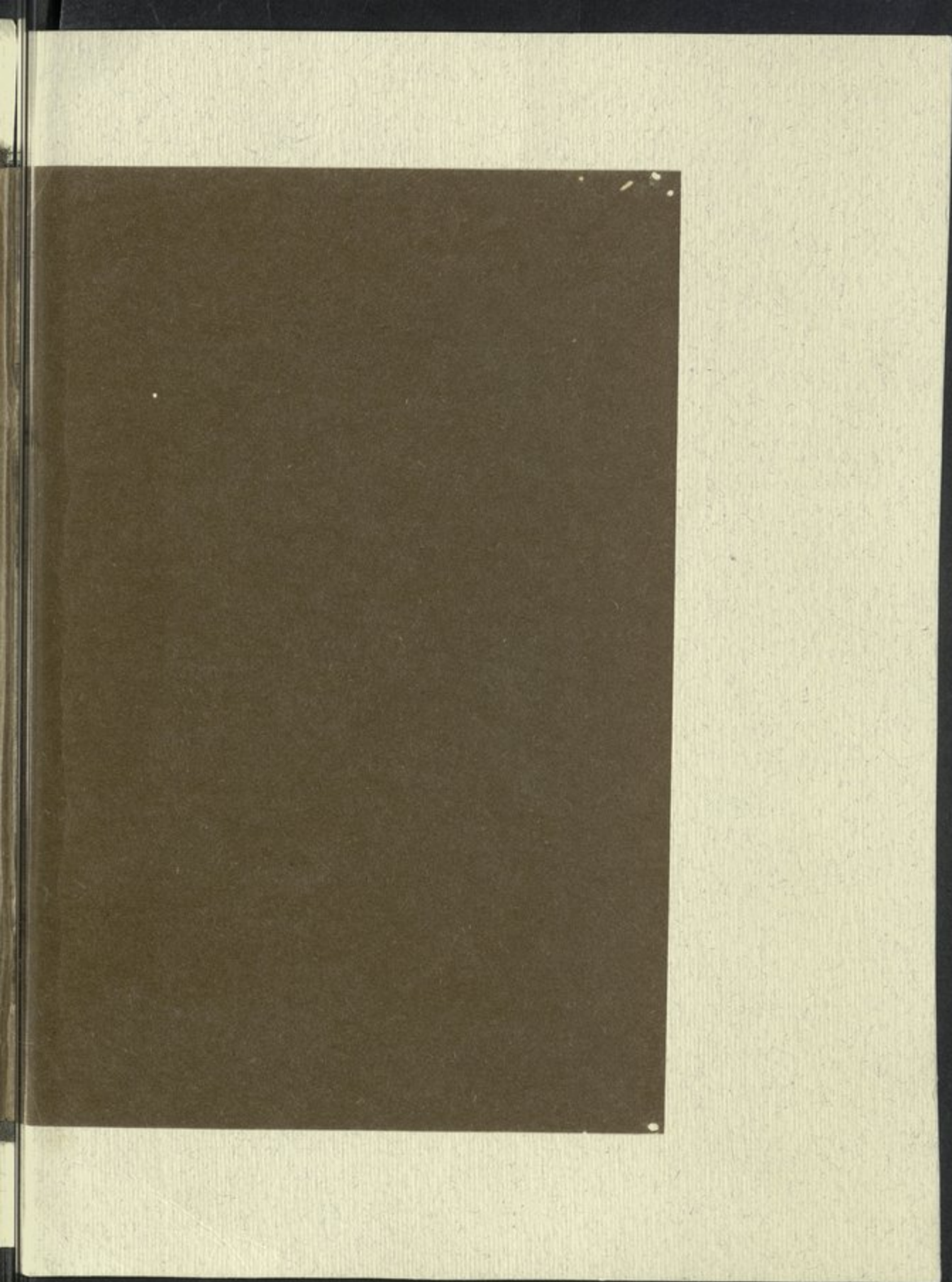
طبوع

»

»

ن
وارد

دیم
والفقط



297.2:A221A:c.1
العدوى، محمد حسنين مخلوف
عنوان البيان في علوم التنبيان
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

